## الفصل الثالث

# حوار الحضارات

### المبحث الأول: الترجمة في فجر بغداد

### المبحث الثاني: الترجمة في بيت الحكمة / الرواد من الفلاسفة والمناطقة والأطباء

### المبحث الثالث: الفلاسفة المترجمون

obeikandl.com

obeikandl.com

## المبحث الأول

## الترجمة في فجر بغداد

من أبرز الموانئ التي رست عندها حركة الفكر والثقافة في رحاب (مدرسة بغداد الفلسفية)، كان يوم تألق مشرقاً وجه الترجمة والنقل، إذ أن هذه الحركة على وفق كل المقاييس، حركة حضارية، تدل من جملة ما تدل، على ثقة مجتمع الناقلين بانفسهم، ومتانة مبادئهم، وصحة أفكارهم، وتدل كذلك على سعة في الأفق، وسماحة في العطاء، أنهم يدركون أن الحياة لا تقع عند حد واحد، ولا تضمها دائرة مغلقة، أن سلفنا الصالح أدرك بسعة فكره وقوة بصيرته: أن المجتمع المنغلق على نفسه غير مجدٍ، أنه كل ما كان منفتحاً على الفكر الآخر كان اكثر ثقافة ومعرفة بحضارة عصره، وبالتالي بما لدى الشعوب الأخرى من علم وثقافة ومدنية وحضارة[1]، الأمر الذي تتلاقح فيه الأفكار، وتتفاعل عنده الثقافات، وتتحاور في ظله الحضارات، وخاصة أن المسلمين أجادوا في الاقتباس، وجودوا في الأخذ، وهضموا ما نقلوه، يدركون ((إن العلم نور))[2]، وأن رسول الله الصادق الأمين، كان وراء الحث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وقد جاء في صحيح البخاري ((الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ) فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) وَقَالَ (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ) (وَقَالُوا لَوْ

---

[1] دراستنا، الترجمة ورودها في بيت الحكمة، ضمن أبحاث الاحتفالية المئوية الثانية عشر على تأسيسه في بغداد، ١٢٠٠عام، بغداد، ٢٠٠١، ص٥٤٨-٥٨٨.

[2] وعلى هذا وجدنا في الصحاح الستة وكتب الحديث الرئيسة الأخرى تفرد لهذا الموضوع كتباً وأبواباً منها ٥٣ باباً في صحيح البخاري، وفي صحيح مسلم جاء في أبواب ست، وفي سنن الترمذي جاء كتاب العلم في ١٩ باباً.

كُنَّا نَسْمَعُ أوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا في أصْحابِ السَّعِيرِ) وقال (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِين يَعْلَمُون والَّذِين لا يَعْلَمُونَ) وقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللَّهم عليْهِ وسلَّم مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ وإِنَّما الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ[1]))... وأن ما منعوه عندما منعوا ((علوم الأوائل))، من أجل ((إحكام قواعد الإسلام ورسوخ قواعد الأنام وقد حصل وانقضى))[2]، وعلوم الأوائل وعلى الخصوص منها الطب والنجوم والهيئة والهندسة والمباحث الحكمية ((مما لا يقدح في العقائد الدينية))[3]، ومنها ما يناسب العلوم الإسلامية ويخدم الفرد المسلم ويحتاج إليها المجتمع، وتزدهر به الثقافة...

وينقل اليعقوبي في تاريخه ((في أيام عبد الملك نقشت الدراهم والدنانير بالعربية وكان الذي فعل ذلك الحجاج بن يوسف))[4].

وقد قيل أن حكيم آل مروان، خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أمر يوماً بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مصر، وقد تفصح هذا النفر بالعربية، وأمرهم الأمير خالد بنقل الكتب عن اللسان اليوناني والقبطي -لغة مصر القديمة- إلى العربية، ثم بعد ذلك نقل الحجاج بن يوسف الثقفي الديوان وهو يضم جملة سجلات الدولة في العراق أيامه، وكان باللغة الفارسية إلى العربية، نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم... ومن ثم أمر الخليفة هشام بن عبد الملك بنقل الديوان في الشام إلى العربية، وكان بالرومية، نقله أبو ثابت سليمان بن سعد، وكان حينها على كتابة الرسائل في بلاط الأمويين[5]، ويرى ابن

---

[1] البخاري، الصحيح، كتاب العلم، الترمذي، السنن، الحديث رقم ٢٥٦٩ والحديث رقم ٢٥٧٠، ابن داود، السنن، حديث رقم ٣١٥٧ .

[2] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٣٤-٣٥.

[3] المصدر السابق، ج١، ص٣٥.

[4] ج٣، ص٢٣.

[5] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٠٣.

النديم في كتابه الفهرست: ((إن هذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة))[1]، ولا أحسب أن هذا التحديد لسني الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى دقيق أو مؤشر صحيح، ولا بد أن يكون ابعد من ذلك، ولعله يرقى إلى الصدر الأول من الإسلام، بصيغة أو بأخرى، وأن الترجمة والنقل كانا قد مورسا قبل التاريخ الذي ذكره ابن النديم، وتحديده بذلك الوقت لا ينسجم وطبيعة الأشياء ولا يتفق وصيرورة الثقافة في صدر دين جديد شغل الناس وهز عروشا، وكان بشيرا ونذيرا في العالمين جميعاً... نعم كانت ترجمات ونقل خالد، وكذلك ترجمات ونقل الدواوين، حركة رائدة، ولكنها ليست الأولى...

(إن تراثنا العظيم ما زال الكثير الكثير منه مغيباً، آثاراً خطية تعتز به خزائن الكتب) في المشرق والمغرب، وهذه الآثار الخطية الباقية التي تقدر لها أن تنجو من الحرق ومن الغرق والنتر والتمزيق والقوارض وآفات الأرض، عدا الحروب والحوادث والمصائب والفتن والجهالة، أدت بأضعاف ذلك من الذخائر، لو تهيأ لهذا الميراث الضخم أن يصل إلينا كله، لاكتشفنا الكثير من الحقائق، ولعرفنا الكثير مما نحتاج إليه، ولأغنانا الآن عن كثير من التجارب المعادة المكررة، أن وراء كل كلمة من سطور هذه الآثار الباقية كنزا من العلوم والفنون والآداب ما زال يغري الغربيين بالاستشراق ويطمعهم في التشريق[2]، كان حرص علمائنا وأولياء الأمور من سلفنا الصالح، مشهوداً معروفاً، كانوا يبذلون الجهد ما وسعهم لصيانة العلوم، والعمل على إبقائها تصارع الدهر، وإشفاقهم عليها من أحداث الجو وآفات الأرض وجهل الجاهلين، أن اختاروا لها -كما ينقل ابن النديم- من الأماكن ((أصبرها على الأحداث وأبقاها على الدهر، وأبعدها من

---

[1] المصدر السابق، ص٣٠٣

[2] بحثنا (الخطاب النقدي العربي وإشكالية الديمقراطية)، المؤتمر الفلسفي الثاني للجمعية الفلسفية العربية، عمان، شباط/ ٢٠٠٠ ضمن كتاب بحوث المؤتمر.

التعفن والدروس))[1] ومع هذا فقد ضاع منها الكثير الكثير، لعل الأيام القادمة تكشف ما في الغيب...

## الترجمة زمن المنصور (١٤٥هـ/ ١٥٨هـ- ٧٦٢م/ ٧٧٤م)

بدأت حركة الترجمة جادة واسعة نسبياً منذ الإرهاصات الأولى لفجر بغداد، فقد كان المنصور مؤسس بغداد ((أول من عنى بالعلوم، بل كان اعلم من في عصره، فقد كان مع براعته في الفقه، مقدماً في علوم الأوائل سيما في علم الفلسفة والطب والفلك وعلوم الهيئة وخاصة في النجوم محباً لأهلها))[2]، فشجع العلماء والنقلة على ترجمة المعارف من الحضارات الأخرى وأطلق أيديهم في العمل، وأنفق في هذا السبيل المال المطلوب، ومن جرائها نضجت حركة الترجمة في زمانه، مما يدل على تراكم الخبرات السابقة، والأرض الخصبة، والبيئة المتفتحة، وكثرة أعداد العارفين باللغات والألسن، الذين وفدوا إلى بغداد في أول تأسيساتها...

فمن كان مع المنصور من النقلة والمترجمين الذين ترجموا له ((من سائر الكتب القديمة من اليونانية، والرومية، والفهلوية، والفارسية، والسريانية، والهندية، وأخرجت إلى الناس، فنظروا فيها، وتعلقوا إلى علمها))[3]... منهم: نوبخت المنجم، ((وهو أبو هؤلاء النوبختية))[4]، الذي أسلم وابنه أبو سهل على

---

[1] الفهرست، ص٣٠١.

[2] الفهرست، ص٣٦٤، الفن الأول، المقالة السابعة، المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٤، ابن أبي أصبيعة، ج١، ص٢٠٠، صاعد الأندلسي، (طبقات الأمم)، ص٥٤ فما بعد. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٣٤.

[3] المسعودي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٤.

[4] المسعودي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٤-٣١٥.

أيدي المنصور... وآل نوبخت لهم مشاركة في علوم الاوائل، وينقلون عن الفارسية إلى العربية، وقد اتصل نوبخت مبكراً بالمنصور وقد تنبأ له باندحار حركة محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم وصدقت نبوءته، فأقطعه المنصور قطيعته المعروفة (بقطيعة النوبختية)[1]، ولما ضعف نوبخت ((عن خدمة المنصور أمره المنصور بإحضار ولده ليقوم مقامه))[2]، وحضر الولد لخدمة المنصور وسماه المنصور أبا سهل[3]... ومن النقلة والمترجمين أيضاً: ((إبراهيم بن حبيب الفزاري المنجم، صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم والهيئة والفلك، وابنه محمد بن إبراهيم الفزاري –إن لم يكونا شخصاً واحداً– ومنهم علي بن عيسى الاسطرلابي المنجم))[4]، ومن ابرز مترجمي المنصور من الفارسية أيضاً عبد الله بن المقفع، الذي نقل له كتاب (كليلة ودمنة) وشيئاً من كتب المنطق والطب اليونانيين نقلها ابن المقفع من الفارسية إلى العربية، بعد أن سبق أن نقلت هذه الكتب من لغتها الأم إلى الفارسية[5]، أما أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية وغيرها من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي فهو جد هؤلاء البخاشعة الاطباء، جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع، ((عندما استدعاه المنصور))[6]، ((في سنة مائة وثمان وأربعين للهجرة، ونقل له كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى

---

[1] الطبري، ج٩، ص٢٩٦، حوادث ١٤٥هـ، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٧.

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء...، ص٨٥.

[3] المصدر السابق، ص٨٥.

[4] المسعودي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٤، ويذكر ابن النديم أن علي بن عيسى كان غلام المروروزي وهو من صناع الإسطرلاب أيام المأمون، تتلمذ على ابن خلف المروروزي الذي عمل الإسطرلاب للمأمون، الفهرست، ص٣٤٢.

[5] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٣، ٣٦٤.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٧١.

العربية))[1]، وكان البطريق مترجما للمنصور أيضاً من اللسان اليوناني (وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة، وله نقل كثير وجيد، إلا أنه دون نقل حنين بن إسحاق) على رأي ابن النديم في الفهرست، ولا ضير في ذلك، بل أنه لأمر طبيعي، فإن حنين بن اسحق جاء بعد البطريق بما يقرب من قرن، وقد تقدم الزمن وتوسعت العلوم وزادت معارف الناس، ويمضي المسعودي في نقل الخبر الذي يصف فيه الخليفة المنصور، فيقول: ((المنصور هو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الأعجمية إلى العربية، منها (كليلة ودمنة)، وكتاب (السند هند)، وترجمت له كتب أرسطوطاليس من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب (المجسطي) لبطليموس، وكتاب (الارتماطيقي)، كتاب (اقليدس، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية، وأخرجت إلى الناس، فنظروا فيها وتعلقوا إلى علمها))[2] ومن المناسب أن تكون لنا وقفة قصيرة مع ما ذكر المسعودي من الكتب التي ترجمة للمنصور.

## كتاب (كليلة ودمنة)

((وهو سبعة عشر باباً، وقيل ثمانية عشر باباً، فسره عبد الله بن المقفع وغيره وقد نقل هذا الكتاب إلى الشعر... ولهذا الكتاب جوامع وانتزاعات عملها جماعة، منهم ابن المقفع وسهل بن هارون وسلم صاحب (بيت الحكمة)، والمربد الأسود الذي استدعاه المتوكل في أيامه من فارس))، ويذكر ابن النديم أيضاً: أن أبان بن عبد الحميد بن لاحق اللاحقي نقل كتاب (كليلة ودمنة) من الفارسية[3]، ويذكر صاعد الأندلسي، أن ما وصل بغداد زمن المنصور من علوم أهل الهند

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص٣٧ فما بعد.

[2] المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٤.

[3] المصدر السابق، ص١٨٦، طبقات الأمم، ص٥٧.

في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس كتاب (كليلة ودمنة)[1]، الذي جلبه ((برزويه الحكيم من الهند إلى ملك الفرس وترجمه له من الهندية إلى الفارسية، ثم ترجمه عبد الله بن المقفع الخطيب من اللغة الفارسية إلى العربية وهو كتاب عظيم الفائدة، شريف الغرض، جليل المنفعة))[2]، في حين يرى آخرون أن من أهم الأسباب التي دفعت ابن المقفع إلى نقل كتاب (كليلة ودمنة) كان على سبيل المباهاة بالفكر الشعوبي، وليظهروا للعرب ما كانت عليه أممهم من حضارة ورقي[3]، ولرواج هذا الكتاب وأهميته في زمانه ألف سهل بن هارون، الذي كان في خدمة المأمون وصاحب خزانة بيت الحكمة على منواله كتاباً اسمه (ثعلة وعفره) على غرار كتاب (كليلة ودمنة)[4]، والمهم في الأمر أن كتاب كليلة ودمنة قد فقد أصله الهندي وتحدر إلى الأمم الأخرى بترجمته العربية التي أصبحت المصدر الذي ترجم عنه إلى أكثر من أربعين لغة[5].

## السند هند (السندهانتا):

هو الرسالة الهندية في الفلك، وهو الذي ذكره المسعودي على أنه ترجم للخليفة المنصور مع ما ترجم له من الفكر الآخر، هذه الرسالة هي نفسها التي أشار إليها اليعقوبي في تاريخه، وقال: هو ((الكتاب الأول الذي تسميه الهند (السند هند)، وتفسيره (دهر الدهور)... عملوا من ذلك المختصرات والأبحاث وما أشبهها من الحساب، ووضع التسعة الأحرف الهندية التي تخرج منها جميع

---

[1] المصدر السابق، ص١٨٦، طبقات الأمم، ص٧٧.

[2] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٢٠-٢١، ابن النديم، الفهرست، ص٣٦٤.

[3] محمد عبد الرحمن مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، ١٩٧٠، ص٧١.

[4] الفهرست، ص١٣٤، د. رشيد الجميلي، حركة الترجمة...، ص٢٢٥.

[5] د. رشيد الجميلي، حركة الترجمة...، ص٤٧٢.



obeikandl.com

الحساب وهي: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ٠)[١]، ومما يذكر هنا أنه ((في سنة ست وخمسين ومائة، قدم على الخليفة المنصور رجل من الهند، عالم بالحساب، المعروف بالسند هند في حركات النجوم...)) فأمر المنصور بترجمة هذا الكتاب إلى العربية، وأن يؤلف منه كتاباً تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب، فتولى محمد بن إبراهيم الفزاري، وعمل منه كتاباً يسميه المنجمون (السند هند الكبير)، وعمل منه زيجه المشهور ببلاد الإسلام عول فيه على أوساط (السند هند)، وخالفه في التعاديل والميل))[٢].

وفي زمن الخليفة المأمون قام ((حبش الحاسب عبد الله البغدادي بعمل زيج مؤلف على مذهب (السند هند) خالف فيه الفزاري والخوارزمي في عامة الأعمال))[٣]. وترجمت للخليفة المنصور كتب ارسطوطاليس من المنطقيات وغيرها. وكتبه المنطقية هذه على ما هو معروف ((ثمانية كتب))[٤]، يذكرها ابن النديم بالاسم اليوناني ثم يضع إلى جانبه ترجمتها العربية فيقول: (قاطيغورياس)، معناه المقولات، و(باري ارماياس) معناه العبارة، و(انالوطيقا)، معناها تحليل القياس، و(ابود قطيقا، وهو أنالوطيقا الثاني) ومعناه البرهان، و(طوبيقا) معناه الجدل، و(سوفسطيقا)، معناه المغالطة، و(ريطوريقا) معناه الخطابة، و(أبو طيقا)

---

[١] ج١، ص٧٠، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١١٢-١١٤.

[٢] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٧٨، القفطي، (أخبار الحكماء...)، ص١٧٧، في حين يجد البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة...)، ص٣٥١-٣٥٢، أن تاريخ تقديم الكتاب إلى الخليفة المنصور كان سنة أربع وخمسين ومائة للهجرة، ولا يغيّر ذلك من الأمر شيئاً ولعله اقرب إلى الصواب،... وللباحث وجهة نظر في أمر محمد بن إبراهيم الفزاري وأبيه إبراهيم بن حبيب الفزاري فصلها في الصفحات السابقة من هذه الدراسة.

[٣] القفطي، أخبار الحكماء...، ص١١٧.

[٤] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٨.

ويقال (بوطيقا) معناه الشعر))[1]، ويبدو أن البعض من هذه الكتب قد نقلت زمن الخليفة المنصور، وكان النقل من الفارسية مرة، حيث كانت هذه الكتب اليونانية قد ترجمت إليها ونقلها عبد الله بن المقفع من الفارسية إلى العربية، ومنها كتاب (قاطيفورياس) ومعناه المقالات، فإن ((لهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجرة وغير مشجرة لجماعة منهم ابن المقفع))[2]، ولكتاب (باري ارميناس) معناه العبارة مختصر لابن المقفع أيضاً، ويبدو أن البطريق وابنه يحيى قد ترجما بعض هذه الكتب المنطقية ومما يذكر أن أبا يحيى البطريق ((كان في أيام المنصور وأمره بنقل أشياء من ،الكتب القديمة، وله نقل كثير جيد...))[3]

ولأن الخليفة المنصور كان أول من اعتنى بعلوم الفلسفة وعلم المنطق يذكر صاعد الأندلسي أن ابن المقفع ترجم له ثلاثة كتب ذكر منها ابن النديم الكتابين المشار إليهما وذكر صاعد الكتاب الثالث فكان كتاب (انالوطيقا) ومعناه البرهان، وكانت ترجمة ابن المقفع تلك ((عبارة سهلة قريبة المأخذ))[4].

## كتاب (المجسطي) لطليموس في علم الفلك وحركة النجوم.

هذا الكتاب على ما يذكر ابن النديم ((ثلاث عشرة مقالة، وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك))[5]، وهذا خلاف ما نقله المسعودي، من أن كتاب المجسطي كان قد نقل زمن الخليفة المنصور، من

---

[1] الفهرست، ص٣٠٨-٣٠٩.

[2] المصدر السابق، ص٣٠٩.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء...، ج٢، ص١٧٤.

[4] طبقات الامم، ص٧٧، القفطي، أخبار العلماء...، ص١٤٨-١٤٩.

[5] الفهرست، ص٣٢٧، ومن المرجح أن يحيى البرمكي كان قد اطلع على الترجمات السابقة زمن المنصور فأوصى بتفسير الكتاب ففسر له، وأعيدت ترجمته.

الممكن أن تكون تلك الترجمة زمن المنصور، غير مرضية، ولكنها كانت ترجمة على أي حال، فان لهذا الكتاب ترجمات كثيرة بعد ذلك رفضت جميعا، ولم يبق إلا ترجمة حنين بن إسحاق وإصلاح ثابت بن قرة، وذلك دليل العمل المتطور المتقن... وكتاب بطليموس هذا عند صدوره كان عملا مبتكرا غير كثيراً من الأمور كانت قبله حقائق وكان هوى المنصور في النجوم والفلك ورصد الكواكب وليس أنفع له من هذا الكتاب لما تضمن من وصف لآلات الرصد التي تنفعهم في رصد بعض الكواكب والنجوم وحركاتها وأحكامها، وعلى الخصوص قراءة الحظ وما يخفيه المستقبل، ولنا في النوبختية مثلاً[1]...

## كتاب الارتماطيقي

وهو في العلوم العددية، وموضوعه ((معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف، أما على التوالي أو بالتضعيف، وهو أصول العلوم الفلسفية التعليمية وهي سبعة وأولها علم المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتماطيقي أولا، ثم الهندسة، ثم الهيئة، ثم الموسيقى، ثم الطبيعيات، ثم الإلهيات ولكل وأحد منها فروع تتفرع))[2]، فمن فروع الارتماطيقي علم (صناعة الحساب) وعلم (الجبر والمقابلة) و(حساب الفرائض والمعاملات)، وكان أبو جعفر المنصور قد بعث إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة، ((فبعث إليه بكتاب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات، فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازداد حرصاً على الظفر بما بقي منها))[3]... كان الخليفة المنصور متحمساً غاية الحماسة لنقل

---

[1] فصل اليعقوبي في تاريخه الكلام عن هذا الكتاب وأشار إلى أبوابه ومقالاته، ج١، ص١١٥، فيما بعد.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٩ فما بعد.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص٤٨٥-٤٨٦، ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٥.

العلوم العقلية ومعرفة ما في حضارات الدنيا من علوم، فإن أساس بغداد متين ومدرستها الفلسفية عامرة لا تخشى الأفكار الوافدة ولها القدرة لتدجينها وهكذا كانت الترجمة في تأسيساتها الأولى في فجر بغداد.

## (كتاب أصول الهندسة) لإقليدس:

ويسمى كتاب الأركان، ((وهو أبسط ما وضع للمتكلمين، وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور))، ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين. ((ويشتمل على خمس عشرة مقالة، أربع في السطوح، وواحدة في الأقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى البعض وثلاث في العدد، والعاشرة في الجذور، وخمس في المجسمات وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة... وعليه شروح كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية بإطلاق))[1].

يبدو أن كتباً كثيرة غير ما ذكرنا، قد ترجمت للخليفة المنصور من العلوم القديمة من لغات مختلفة، ويبدو أن معظمها ما زال مغيباً ولكنها على الغالب كانت قد أخرجت إلى الناس ((فنظروا فيها وتعلقوا إلى علمها... وقد نظر المنصور في العلم وقرأ المذاهب وارتاض في الآراء))[2]، وهو ما سيكشف في قابل الأيام.

## الترجمة زمن الخليفة المهدي (١٥٨هـ/ ١٦٩هـ- ٧٧٥م/٧٨٥م)[3]

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص٤٨٥-٤٨٦، ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٥.

[2] المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٤-٣١٥.

[3] الخليفة المهدي/ هو أبو عبد الله محمد بن الخليفة عبد الله المنصور، ولد ١٢٧هـ/٧٤٤ وتوفي سنة ١٧٩هـ/ ٧٨٥م وبويع له بالخلافة سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٥ م بعد موت أبيه، فكانت خلافته ١١ سنة.

وجد غير باحث أن حركة الترجمة لم تلق الاهتمام ذاته من لدن الخليفة المهدي ((الأمر الذي أدى إلى ركود ذلك النشاط الذي حفل به عهد المنصور))[1]، وقد يظهر ذلك صحيحاً لأول وهلة، ولكن المدقق لحيثياته وأسبابه، يجده على غير الصواب، لأسباب كثيرة: أهمها: أن إطلاق حركة الترجمة وتشجيع المترجمين ودعوتهم لبغداد من الحواضر الأخرى والتفاف رعاة الترجمة وطالبي إنتاجها زمن المنصور بالشكل الذي وجدنا، كان مبدأ رسمياً ومفهوماً حضارياً اتخذته الدولة بإصرار وتشجيع كل المعنيين، فهو قرار لا رجعة فيه، هذا أمر، والآخر: الهوى الشخصي الذي عرف به الخليفة المنصور ورغبته في الاطلاع على فكر معاصريه، وحاجته للطب وكتبه ورغبته في علم النجوم واستخداماته ولاتخاذ مادة الترجمة وسائل في صف الحجاج العقائدي، وتحويرها لتوائم الحركة الفكرية في البيئة البغدادية المسلمة، ولتكن الترجمة وإنتاجها شواهد صالحة تدعم الفكر، ولتستمر حركة تقدمية فاعلة ضد الحركات التي وجدها المنصور راغبة في إيقاف المسيرة الحضارية.. فحركة الترجمة إذن قرار سياسي كان ولي العهد المهدي من رعاته قبل الخلافة...

هذا أولا: أما الأمر الآخر: فان المترجمين والنقلة زمن المنصور ما كانوا أفراداً بل كانت حركة الترجمة ((صناعة بيتية))[2] إن صح التعبير، وهي عمل مارسته بيوت معروفة الولد يأخذ عن الأب، وهذا أخذ عن الجد في عملية متلازمة لها مسوغاتها وأسبابها مثل عائلة (نوبخت) الذي خدم المنصور مدة،

---

[1] نقرأ تفاصيل ذلك عند الدكتور رشيد الجميلي، حركة الترجمة...، ص٧٨ فما بعد.

[2] كان ربُ العائلة المهتم بالترجمة حريصاً على عدم تعليم أصول هذه (الصناعة) وقواعدها إلى غير أهله أو من هم في حكمهم فكان الأب يلقن أبنائه أصول الترجمة وأسرارها وآدابها وكان يدربهم على ذلك بإشراكهم معه في العمل حتى يتقن المهنة إتقانا تاماً فيحتفظ هؤلاء بأسرار هذه المهنة ليسلموها إلى الجيل التالي من أبنائهم...

وعند تقدمه بالسن جاء بابنه وذاك جاء بأبنائه الثلاثة، واستمر هذا البيت يخدم حركة الترجمة في قصور الخلفاء والوزراء سنين، وقولنا هذا ينسحب على أبي يحيى البطريق وابنه يحيى وأفراد عائلتهم، وكذلك بالنسبة للبخاشعة من جدهم جورجيس الذي استدعاه الخليفة المنصور حتى آخر البخاشعة الذين خدموا الخلفاء العباسيين، مما يدل على أن حركة الترجمة كانت (صناعة بيتية) مستمرة لم تتوقف بموت خليفة أو أي من رعاة الترجمة والناقلين، بل هي تستمر لأن فيها فائدة عامة شاملة لأهل الحل والعقد أو لعامة المثقفين في ذلك المجتمع...

والأمر الآخر الأكثر أهمية، أن حركة الترجمة المناهضة في فكرها لفكر الدولة، كانت قد نشطت زمن الخليفة المهدي، وكانت حركة الزنادقة والملحدين من أصحاب وطلاب عبد الله بن المقفع وابن أبي العوجاء وأضرابهم، قد اتخذت من الترجمة ما يؤيد أفكارها ((وكان إعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما أنتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون ومما نقله عبد الله وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وما صنفه في ذلك ابن أبي العوجاء وحماد عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع بن اياس، من تأييد المذاهب المانية والديصانية والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس))[1]، وليس هذا فقط، بل أن هذه الحركة كانت قد دخلت من أوسع أبوابها في قصر الخليفة المهدي نفسه، يذكر اليعقوبي في تاريخه ((إن صالح بن أبي عبيد الله كاتبه زنديق، فأحضره، فلما صح عند اقره واستتابه، فقال (صالح) لا رغبة عما أنا عليه ولا حاجة في غيره فأمر المهدي أبا عبيد الله أباه أن يقوم فيضرب عنقه))[2]، وهذا يعني أن هذا الأمر قد بلغ بكاتب المهدي مبلغا، طلب فيه الموت، على أن يقول غير ما كان يعتقد، ولذا وجدنا الخليفة المهدي يستدعي المفكرين في عصره

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٥.

[2] اليعقوبي، التأريخ، ج٣، ص١٣٨.

((ويأمر الجدليين ممن هم أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين... وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شبهة الملحدين، فأوضحوا الحق للشاكين))[1]. وهذا الجدل وتلك المناظرة لابد أنها قد شغلت أهل الفكر ودفعت كل فريق بترجمة ما يعضد فكره، ويستعين بالترجمة لإيصال صوته، ويؤكد غير باحث ((إن الإلياذة والاونيسة ملحمتي اليونان المعروفتين قد ترجمتا إلى العربية زمن الخليفة المهدي))[2]. ولكن هذا الكم وهذا النوع من الترجمة لم يصل لأي سبب، لا لأنه غير موجود، مع أن هذا النتاج لم يكن الوحيد الذي لم يصلنا نحن أحفاده فقد سبقه ولحقه الكثير لعل قابل الأيام ستظهره.

## الترجمة زمن الخليفة الهادي(١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م:

وبمثل ما قيل عن حركة الترجمة زمن الخليفة المهدي قيل في الترجمة زمن ابنه الخليفة الهادي، من أنها لم تلق الاهتمام، وآلت في زمانه إلى ركود وعدم اكتراث أنعكس على حركة الترجمة بشطريها الكمي والنوعي، ولكن لحسن الحظ لم يدم هذا طويلا إذ سرعان ما بزغ عهد جديد بلغت الترجمة فيه مبلغاً جاوز في حده كل ما سبقه في هذا الباب وذلك هو عهد الخليفة هارون الرشيد...

لا خلاف في هذا الأمر وإن بزوغ عهد جديد مسألة موثقة بلغت الترجمة فيه مبلغاً جاوز فيه كل من سبق منذ فجر بغداد حتى ظهور رجالات أسسوا لبيت الحكمة وبناء شخصياته، ولكن الخلاف في ركودها زمن الخليفتين المهدي والهادي وهو الأمر الذي نفيناه بعد أن وجدناه قد جانب الصواب للأسباب التي ذكرناها سابقاً والتي يمكن سحبها بالكامل على حركة الترجمة منذ المنصور وحتى الرشيد...

---

[1] المسعودي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٥.

[2] د. عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة ، ١٩٧٧، ص١٨٩.

والخليفة الهادي على قصر أيامه في الخلافة (سنة واحدة) كانت أمراضه مزمنة، وكان منشغلاً في مسألة خلع ولي عهده الرشيد وتنصيب ابنه جعفر، وكانت أمه الخيزران هي القول الفصل في قصره ((حاكمة مستبدة بالأمور الكبار))[1] منذ أيام زوجها الخليفة المهدي، ويوم مات الهادي، أخفت موته عن الناس، واستدعت بعض المقربين إليها ليشهدوا لحظات الخليفة الهادي الأخيرة، يقول يحيى: ((فوجدته محول الوجه إلى الحائط وقد قضى، فمضيت إلى هارون حتى أخرجته من الموضع الذي كان فيه محبوساً، فاصبح القواد فبايعوا، وأصبحت أدبر الملك))[2]. ولهذا كله يعد عصر الهادي امتداداً لعصر الرشيد الذهبي، ولم تتنكس حركة الترجمة في زمانه، بل مضت تتطور في مسيرة ليس لها آخر، نعم لم تكن الترجمة لتزدهر يوماً من تلقاء نفسها ((لكلفتها المادية ولنزعتها الاخلاقية، واتجاهها المعرفي، إلا بوجود من يشجعها ويدعمها ويرعاها حبا بها وإدراكا لأهميتها واعترافاً لفائدتها))[3]، لا سيما وأن أياً من وسائل الترجمة المعروفة الآن ما كانت موجودة مثل المعاجم الثنائية والخبرة المتراكمة. ولذا كان الخليفة هارون الرشيد قبل أن يهيئ (بيت الحكمة) كان يمد المترجمين بالخبرة والمال والمراجعة والتدقيق، لتكون الترجمة حينئذ مستوفية مفيدة، وهذا لا يعني أن الترجمة ذلك الزمان كانت إبداعاً مضافاً أو تعبيراً مستوفيا دقيقا، بل كانت ترجمة حرفية لاشيء فيها من فن المترجم، كما لا هم للناقل الذي نقل المادة بذاتها حرفاً بحرف إلا أن يكتبها كما تمكن منها وما كان الناقل مدركا للعلم الذي ينقله لأنه لا ينقل بالمعنى لأن ذلك يستلزم خبرة وإمكانية متراكمة، وهي التي شاهدناها في العصور اللاحقة... نعم كان المترجم والناقل منذ فجر بغداد يتعامل

---

[1] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٨٠.

[2] اليعقوبي، التاريخ، ج٣، ص١٤٣-١٤٤.

[3] د. رشيد الجميلي، حركة الترجمة... ص٢٤٥ فما بعد.

مع مجموعة المعارف والعلوم من زوايا الترجمة كافة فهو طبيب وفلكي وإسطرلابي وهو جغرافي وفيلسوف وغير ذلك من العلوم قدر تعلق الأمر في ترجمته ونقله لتلك الاختصاصات جميعا بل من الواضح أن المترجمين ذلك الوقت كانوا وسائل لأصحاب المصلحة، أطباءُ فلكيين فلاسفة وهكذا في أغلب الترجمة والنقل...

## الترجمة زمن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠هـ-١٩٣هـ/ ٧٨٦م-٨٠٨م):

ومضت أيضاً حركة الترجمة تتطور في عهد الرشيد وتلك سنة الحياة: أن غرست نبتة صالحة في بيئتها وفي مناخها ولها من يرعاها نمت وأينعت وأثمرت وأتت آكلها، ولذا حركة الترجمة في عهد الخليفة الرشيد كانت في بيئتها، وقد استمر العمل فيها وكان فيها أهل مهنة، احترموا مهنتهم فاحترمهم الناس لاحترامها، أثمرت العائلة من أهل النقل والترجمة، أبناء مضوا على خطى آبائهم في المهنة، وكانت حركة الترجمة في مناخها بين أيدي الأطباء، بين أيدي المنجمين وأهل الهيئة وأصحاب الفلك، بين أيدي الفلاسفة والمتكلمين وأهل المنطق، كل يتشوق للجديد منها، ويبذل في سبيل الحصول عليها، ثم كان البيت الأكاديمية الذي نظم أمورها الإدارية والفنية، وقامت مصانع الورق الانقلاب العظيم في التراكم الحضاري والمد الثقافي... فهي إذن تتطور، لها من يرعاها، ويتفقد أصحابها، ويسأل عنهم إذا غابوا، ويسفر بهم الى مضان المخطوطات إذا شحت، فهي إذن تتطور[1]...

وفي البداية ومنذ زمن الخليفة المهدى وجد السيوطي: إن لدى الخليفة الرغبة في فك أسر الكتب اليونانية التي كانت عند الروم وخروجها إلى بلاد

---

[1] حركة الترجمة... ص٩٠ فما بعد.

الإسلام، فترجمت بالعربية، وشاعت في أيدي المسلمين الذي أمر عبد الله بن هلال (ت ١٦٥هـ/ ٧٨١م) في خلافته بترجمة كتاب (كليلة ودمنة) من الفارسية إلى العربية، كما أمر سهل بن نوبخت، فنظم تلك الترجمة وأصلحها فأعطاه ألف دينار))[١]، وكتب أبو عمر كلثوم كتاب (المنطق) وكتاب (الألفاظ)... ويجد السيوطي أيضاً: أن الخليفة هارون الرشيد كان السبب في فك أسر الكتب اليونانية التي كانت عند الروم، وخروجها إلى بلاد الإسلام، عندما أفضى الأمر في دولة بني العباس إليه، وكان ملك الروم قد خاف على الروم أن نظروا في كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية، ويرجعوا إلى دين اليونانية، وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم، فجمع الكتب في موضع وبنى عليه بناء، وما أن سمع الخليفة هارون الرشيد ذلك صانع ملك الروم الذي في وقته بالهدايا، ولا يلتمس منه حاجة فلما جاء رسول الخليفة بالهدايا قال: قل لصاحبك أن كانت له عندنا حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول الخليفة رده إليه وقال: حاجتي الكتب التي تحت البناء يرسلها لي اخرج منها بعض ما احتاج إليه واردها، فلما قرأ الرومي كتابه، استطار فرحاً وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان وقال لهم: كنت قد ذكرت لكم عن رسول الخليفة هارون الرشيد وأنه لا يخلو عن حاجة وقد أفصح عن حاجته وهي أخف الحوائج عليّ... وأنا أرى أن ابعث بها إليه واسأله أن لا يردها فيبتلون بها ونسلم نحن من شرها... فقالوا نعم الرأي رأيت أيها الملك فامضه، فبعث بالكتب إلى بغداد فلما وصلت إليه جمع عليها كل زند يق وفيلسوف فمما أُخرج منها كتاب حد المنطق)[٢]، ويرى ابن النديم أن الخليفة هارون الرشيد أول من عنى بتفسير (كتاب المجسطي) وإخراجه إلى العربية ولا أرى ذلك دقيقاً لأن هذا الكتاب كان قد ترجم زمن الخليفة المنصور كما أوضحنا سابقاً...

---

[١] السيوطي، المصدر السابق، ص٨.

[٢] المصدر السابق، ص٦-٩.

والحاصل على ما يجمل السيوطي أن علوم الأوائل دخلت إلى المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم لكنها لم تكثر فيهم ولم تشتهر بينهم، لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها ثم اشتهرت في زمن الخليفة هارون الرشيد ومن المرجح أن الخليفة لم يقتصر في رعايته للترجمة من لغة مخصوصة دون غيرها فيقول ابن النديم أن الذي عنى بأمر الهند في دولة العرب كان الخليفة هارون الرشيد ويذكر ابن النديم أيضاً أن الخليفة هارون الرشيد بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم، وأن يكتب له أدباءهم فكتب له هذا الكتاب

ومن المرجح أن عهد الخليفة الأمين بن هارون الرشيد كان امتداداً لحركة الترجمة في عهد أبيه كما كان عهد عمه الخليفة الهادي امتداداً لعهد الرشيد، المهم أن الترجمة عمل حضاري لا يتوقف بالأحداث السياسية التي هي أحداث مدنية لا علاقة لها بالتراكم الحضاري والمد الثقافي...

## الترجمة زمن الخليفة المأمون والعصور التي تلته (١٩٨هـ/٨١٣م-٢٥٢هـ/٨٦٦م)

في البدء وعندما جاء الله تعالى بالإسلام، ((وكان لأهله الظهور))[١]، وبعد أن ((رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا))[٢] وما أن استقر الأمر، ((أخذت الحضارة منهم بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم وتفننوا في الصنائع والعلوم وتشوقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية))[٣]، فمنذ الحضارة والثقافة في شعاب مدنهم، وتعلق نظام الحكم بعد المنصور وابنه وحفيده حتى ((جاء

---

[١] ابن خلدون، المقدمة ص٤٨٠.

[٢] سورة النصر، آية ٣.

[٣] ابن خلدون، المقدمة، ص٢٨٠.

المأمون بعد ذلك، وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله، فانبعث لهذه العلوم حرصا، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين، وانتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك، فأوعى منه واستوعب، وعكف عليها النظار من أهل الإسلام وحذقوا في فنونها وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول (ارسطو) واختصوه بالرد والقبول، لوقوف الشهرة عنده، ودونوا في ذلك الدواوين، وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم))[1]، ويبدو أن ابن خلدون في قوله ذاك كان مؤكداً لقول مشابه سبقه، ذكره صاعد بن أحمد الأندلسي (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) قوله ((تمم (المأمون) ما بدأ به جده (المنصور) فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب (أفلاطون) و(أرسطوطاليس) و(أبقراط) و(جالينوس) و(اقليدس) و(بطليموس)، وغيرهم من الفلاسفة، فاستخار لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها، فنفقت سوق العلم في زمانه، وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أُولوا النباهة في العلوم لما كانوا يرون من إمضائه لمنتحليها واختصاصه لمقلديهم، فكان يخلو بهم، ويأنس بمناظرتهم، ويلتذ بمذاكرتهم، فينالون عنده المنازل الرفيعة، والمراتب السنية، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والشعر والنسب، فأتقن جماعة من ذوي الفنون والتعليم في أيامه كثيراً من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعدهم مناهج الطب، ومهدوا أصول الأدب، حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص٤٨١.

أيام اكتمالها، وزمان اجتماع شملها،...))[1]، فكان عصر المأمون بحق العصر الذهبي لحركة الترجمة، ثم استمرت بعده ولم تتنكس مطلقاً، نعم اختلف الأسلوب والعمل والنقل وفحوى الترجمة من زمان إلى زمان فبعد أن كانت الترجمة نقل الحافر على الحافر، حرفية لا إبداع فيها، صارت في زمن المأمون ترجمة بالمعنى، تصدى لها خبراء وتفنن بها علماء كانوا أهل اختصاص في العلوم التي نقلوها، فلم يعد الناقل بعد هذا العصر الذهبي ينقل كتباً من غير اختصاصه، كان الطبيب المترجم لا ينقل غير الكتب الطبية، والفيلسوف أو محب الفلسفة لا ينقل غير الكتب الفلسفية، وهكذا بقية العلوم، ثم جاءت الشروح والملخصات والتأليف، وحضر المشهد المؤلف الذي يستفيد من لغة اخرى، حتى أضحت الترجمة عملية من عمليات نشر الثقافة والعلوم، وبات التأليف من الوظائف الشريفة والمراتب العالية، ولذا وجدت الترجمة مستمرة وعملية الاطلاع على الفكر الآخر متوالية لم تنقطع سواء شجع الخليفة أو غيره من الموسرين الترجمة أو لم يشجع، فهي حاجة اجتماعية أضحت مطلوبة ومتممة لتحصيل العلوم، فقد وعاها العلماء واستفاد منها المصنفون وهي مسألة حضارية يضاف إليها من نشاط الثقافة العام كل يوم ومن دون انقطاع، وليس لها علاقة بذهاب خليفة أو موت وزير، فهي عملية حضارية وليست حركة مدنية أو أسلوباً مدنياً يتغير بتغير الحاكم وينسلخ بانسلاخ نظامه بل تراكم تراثي مستمر عبر الزمن، لا يموت بتوالي السنين، بل الحضارة وتراكمها باق ما بقيت الحياة على هذا التركيب...

ومن الغريب أن يبلغ التشاؤم بالقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي فيقول: ((بدأت تنقص (حركة الترجمة بخاصة والثقافة بعامة) ولتمام ثلاث مائة سنة خلت لتأريخ الهجرة اختل الملك، وتغلب عليه النساء والأتراك، فلم يزل الناس يزهدون في العلم، وينشغلون عنه بتزاحم الفتن، إلى أن كاد العلم يرتفع

---

[1] طبقات الأمم، ص٧٦.

جملة في زماننا هذا، والحمد لله على كل حال))[1]... هذا صحيح في المسألة السياسية والبعد القومي، ولكنه على المستويات التي عدد جوانبها في عرضه منذ زمن المنصور حتى حفيده المأمون، ليس صحيحا، لأنه هكذا وبصياغة كلامية جعل من الحدث السياسي كل شيء في حين أنه ليس كذلك، صحيح أن النكبات وتلك الانتكاسات في واقعنا السياسي ذلك الزمان غيرت وجه التاريخ، ولوت عنان التقدم، وأجهضت كيانات، ومحقت دولا، أوصل الأمة إلى أن تفقد الأندلس وما حدث فيها أثناء سقوطها وبعده، أنه أمر مخيف وقليل بحقه أن يسمى بعصر الانحطاط السياسي، عصر الانحدار والانزلاق ولكن يبقى الفكر مزدهراً وحضارتنا متراكمة...

[1] طبقات الأمم، ص٧٧.



obeikandl.com

## المبحث الثاني

## الترجمة في بيت الحكمة/ الرواد من الفلاسفة والمناطقة والأطباء

بيت الحكمة: خزانة (مدرسة بغداد الفلسفية) ومستودع علمها ومستقر فلاسفتها، ومرجع أقطابها، عاشت (مدرسة بغداد الفلسفية) منذ بواكيرها بين أحضان هذا البيت وأبصرت التأمل الفلسفي والجدل العقلي والإشعاع الفكري بين يدي أقطابه من الفلاسفة، كان يجتمع كل يوم في هذا المعهد العلمي الفلاسفة والعلماء والكتاب والمترجمون، للدرس والمناظرة أنشأه الخليفة هارون الرشيد عام (١٨٧هـ/ ٨٠٢م) ليكون مجمعاً علمياً وأكاديمية فلسفية، وأودع فيه كتباً في علوم عقلية مختلفة هي مما جمعه جده المنصور وأبوه المهدي ومما عثر عليه هو في أثناء حروبه في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم[1].

وتعملقت (مدرسة بغداد الفلسفية) في بيت الحكمة، ثم احتضنها الخليفة المأمون بعد ذلك الفجر، ووسع في أكاديميتها (بيت الحكمة) ومده بمقومات الحداثة والحضارة العالمية التي كانت سائدة، كان (بيت الحكمة) أكاديمية علمية بالمعنى الصحيح، ونقلة نوعية أمدت (مدرسة بغداد الفلسفية) بكثير من طروحاتها وأجوبتها، أما لماذا سمي (بيت الحكمة)، (فإن البيت عندهم جزء من الدار) على رأي الدكتور مصطفى جواد[2]...

أما على رأي أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام)، قوله : مثلما كانوا قد أطلقوا اسم ((بيت المال على المكان الذي يُحفظ فيه مال الدولة وأشياؤها الثمينة،

---

[1] د. مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، بغداد ١٩٥٨، ص١٣٠.

[2] المرجع السابق، ص١٣٠-١٣١.

فأنهم كذلك قد فعلوا وأطلقوا اسم (بيت الحكمة على المكان الذي أنشأته الدولة لحفظ كتب الحكمة خاصة...))[1]، ولذا كان حرص علمائنا، وأولياء الأمور من سلفنا الصالح يبذلون جهد ما وسعهم لصيانة العلوم، والعمل على إبقائها وديمومتها لتصارع المحن، وإشفاقهم عليها من أحداث الجو وآفات الأرض ومن الحرق ومن الغرق، والسهو والنسيان، أن اختاروا لها من الأماكن ((أصبرها على الأحداث أبقاها على الدهر، أبعدها من التعفن والدروس))[2]، وبيت الحكمة واحد من تلك الأماكن...

وكلمة (حكمة) كما نعلم مرادفة لكلمة (فلسفة)، لأن ما في هذا البيت من الكتب جميعها أو معظمها من كتب الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية، وليست من الكتب النقلية، أو نحوها ... ومثلما كان أفلاطون قد أسس أكاديمية لتدريس علوم الفلسفة وأفكارها، كانت فكرة إنشاء (بيت الحكمة)، ليكون مرجعاً للعلوم العقلية، ومجمعاً للعلماء فيها...[3]

ومن هنا جاء استنتاج أستاذنا الدكتور عبد الجبار ناجي أن: ((بيت الحكمة ليس مجرد خزانة كتب، إنه بمثابة مؤسسة أو أكاديمية للبحث والترجمة بالدرجة الأولى))[4]، ولهذا كان الاهتمام فيه بالأساس بالجانب الفلسفي ثم بالعلوم العقلية الأخرى لاسيما علوم ذلك العصر الفلك والنجوم والهيئة...

---

[1] (القاهرة ١٩٥٩)، ج٣ ص١٢٥.

[2] ابن النديم، الفهرست، ٣٠١.

[3] د. عبد الجبار ناجي ،بيت الحكمة رؤية تاريخية، ضمن كتاب (بيت الحكمة.. الماضي والحاضر) بغداد/ ١٩٩٧، ص١١ .

[4] يذكر ابن النديم: في ترجمة علان الشعوبي أنه كان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد وللمأمون... ص١١٨.

قد لا يكون دقيقاً القول إن (بيت الحكمة) كان ملحقاً بقصر الخليفة أو إنه يشغل بناية مستقلة، لأن البيت أقرب إلى المؤسسة الشعبية منه إلى بروتوكولات قصور الخلفاء وبلاطاتهم وعلى الخصوص زمن المأمون الذي تميز بلاطه بمراسيم الملك ،يجوز هذا زمن الخليفة هارون الرشيد بداية النشأة، أما بعد ذلك فقد كبر البيت وصار فيه أقسام منها أقسام مخصصة للترجمة من السريانية وأخرى من اليونانية وثالثة من الفارسية، وأقسام أخرى كانت تضم رجالاً يعملون في الوراقة والتصحيف والتجليد[1] وقد تناوب على منصب (صاحب بيت الحكمة) علماء ذو خبرة إدارية وفنية وكان أول أمين على هذا البيت سلْم صاحب بيت الحكمة الأمين على الكتب التي نقلت إلى المأمون من القسطنطينية، إلى جانب سهل[2] بن هارون الذي ألف كتاب (الحكمة ومنافعها)، وكذلك مجموعة (رسائل في الحكمة)، ومن رواد بيت الحكمة الكبار العالم الرياضي والفلكي الفيلسوف محمد بن موسى الخوارزمي، العالم الذي أقام الدنيا في زمانه، ومازال صداه مدوياً في عالم اليوم.[3].. ومن رواد (بيت الحكمة) الوزير الحسن بن سهل السرخسي والد بوران زوجة الخليفة المأمون، الذي كان رجل الدولة العباسية ومشاركاً في (علوم الأوائل)، على ما ينقل أبن أبي أُصيبعة[4]... ومن الرواد أيضاً

---

[1] ابن النديم، الفهرست، ص١٠ وص١٢، وذكر أسماء بعض المجلدين منهم : ((ابن أبي الحرش، وكان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون))، ص

[2] المصدر السابق، ص١٣٤، ٣٦٤

[3] المصدر السابق، ص٣٣٣، القفطي، أخبار.. ص١٨٧، قال القفطي كان منقطعاً إلى بيت الحكمة للمأمون..

[4] تزوج الخليفة المأمون من بوران بنت الحسن بن سهيل عامله على فم الصلح عام ٢٠٩هـ / ٨٢٤م وكان يوماً مشهودا نثر فيه الحسن بن سهيل من الأموال ما لم ينثره ويفعله ملك قط في جاهلية أو إسلام، وجازاه الخليفة بحمل خراج فارس وكور الأهواز إليه سنه، (المسعودي مروج الذهب، ج٤ ص٣٠).

حنين بن إسحاق العبادي، شيخ (بيت الحكمة) وزعيم مترجميه، الذي شهد البيت في عهده ازدهاراً منقطع النظير. ومن الرواد العباقرة الأفذاذ أبناء موسى بن شاكر[1] الذين أضافوا إلى الحضارة الإنسانية ما خلدهم على مر الزمن... كل هؤلاء الأعلام والمفكرين من أبناء (مدرسة بغداد الفلسفية) يستوجب المقام أن تكون لنا معهم وقفة تفيهم حقهم وتشير إلى إنجازاتهم لولا مخافة أن يطول المقام...

ووجدنا أنه من المهم أن نذكر منهم أعلاماً على أمل العودة إليهم في مناسبة أخرى:

## أبو يحيى البطريق:

كان في أيام المنصور، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة، والبطريق هذا وابنه يحيى كانا في خدمة (بيت الحكمة) وقيل إنهما كانا ((من جملة الوزير الحسن بن سهل))[2].

## أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري:

المنجم من حكماء الإسلام[3]، وهو أول من عمل إسطرلابا في الإسلام، منه أخذ المسلمون هذا العلم، له كتاب في تسطيح الكرة[4]، وله ((قصيدة في النجوم

---

[1] وهما محمد وأحمد أبنا موسى بن شاكر، اللذان لمع نجمهما في (مدرسة بغداد الفلسفية) ونبغا في الهندسة والرياضيات والهيئة والفلسفة، ونافسا الكندي في هذا المضمار، ابن النديم، ص٣٣٠-٣٣١.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص١٧٤.

[3] ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٢، الفن الثاني المقالة السابعة.

[4] القفطي، (أخبار العلماء...)، ص٤٢، ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٢.



obeikandl.com

وغير ذلك من علوم الهيئة والفلك))[1]. ولأن المنصور ((أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم))[2]. فقد قرب أبا اسحق الفزاري إليه فهو فلكي معروف، ولعله هو الذي ترجم كتاب (السند هند) للخليفة المنصور، وهو المقصود على الأغلب بروايتي صاعد الأندلسي في كتابه ((طبقات الأمم))[3]، والقفطي في كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)، وليس محمد بن إبراهيم الفزاري، فهما في الاختصاص نفسه، وملاك الرواية هو نفسه الذي نقل في ترجمة إبراهيم بن حبيب الفزاري ولعله أيضاً أن إبراهيم هذا هو المقصود عند ابن أبي أُصيبعة الذي ترجم له تحت اسم (إبراهيم بن فزارون)، قال ابن أبي أُصيبعة: هو ((متطبب غسان بن عباد الذي خرج معه إلى السند، وإبراهيم بن فزارون هو شيخ بني فزارون الكتاب))[4]، وهذا ما يستدعي التحقق منه وملاحظة ملابساته للوصول إلى شيء من اليقين في أمره وأمر ابنه محمد، هذا وقد توفي أبو اسحق إبراهيم بن حبيب الفزاري عام (١٦١هـ، ٧٧٧م).

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٤.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٢. القفطي، المصدر السابق ص٤٢.

[3] ص٧٨.

[4] ص١٧٧، يقول القفطي: (محمد بن إبراهيم الفزاري، فاضل في علم النجوم، متكلم في حوادث الحدثان، خبير في تيسير الكواكب، وهو اول من عنى في الملة الإسلامية بهذا النوع)، وتلك صفات يمكن أن يشترك معه إبراهيم الفزاري، فابراهيم هذا إن لم يكن أبا محمد إياه فهما إذن أما أن يكونا الابن وأباه، أو هما اسم واحد لأنهما يتفقان في الزمان والمكان والاختصاص والعمل بالنجوم وهما (أول من عمل بالإسلام وعند الخليفة المنصور، ولهم كتب في هذه الصنعة، نقلوها عن الفارسية إلى العربية، وهو الذي نقل الكتاب الذي تتخذه العرب أصيلا في حركات الكواكب وعمل منه كتاباً يسميه المنجمون (السند هند الكبير)، وتفسيره باللغة الهندية (الدهر الداهر)، وهم يعملون به إلى أيام الخليفة المأمون فاختصره له أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وعمل منه زيجه المشهور) ١٧٧-١٧٨.

((البخاشعة))[1]:

هم أسرة سريانية على رأي نسطوريوس، بطريرك القسطنطينية، يغلب على أفرادها اسم (بختيشوع)، الذي كان بالأصل اسماً لجدهم الأعلى ثم توالى بعد ذلك اسماً لأحفادهم لما يقرب من ثلاثة قرون، توارثوا خلالها (صناعة الطب) ولعبوا دوراً متميزاً في ميدانه...

وبختيشوع اسم سرياني مركب من لفظتين بخت ويشوع، يرى ابن أبي أصيبعة أن ((معنى بختيشوع عبد المسيح)) لأن كلمة (بخت) في السريانية تعني (عبد) أما (يشوع) فهو اسم النبي عيسى اليسوع (عليه السلام)[2]، أما إذا كانت الترجمة على وفق لغة أهل جنديسابور الفارسية فإن لفظ (بخت) يعني عندهم (الحظ)، وبختيشوع تعني بخت أو حظ السيد المسيح، والأولى أقرب لصلتها بأصل العائلة السريانية، وليس بسكنها الجديد الفارسي...

---

[1] أول من أشار إلى هؤلاء الأطباء بهذا الاسم (البخاشعة) وأراد بهم أطباء ومترجمي تلك العائلة هو داود الانطاكي المؤلف الضرير (١٠٠٨هـ-١٥٩٩م) في كتابه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب... ونبهني عليها الصديق ناجي المحفوظ، والبخاشعة أطباء أفاضل استوطنوا مدينة جنديسابور ولم يزل أمرهم يقوى في العلم ويتزايدون فيه ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا في الفضائل، وجماعة من الناس يفضلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيين والهنود لأنهم اخذوا (فضائل كل فرقة فزادوا عليها عما استخرجوه من قبل أنفسهم فرتبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعت فيها كل حسنة)... ولم يزالوا كذلك حتى ولي المنصور الخلافة وبنى مدينة السلام وقد استدعى المنصور منهم جورجيس بن بختيشوع. ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء...، ج٢ ، ص٣٧ فما بعد .

[2] ابن آبى أصيبعة، المصدر السابق، ج٢، ص٤١.



obeikandl.com

وأسرة بختيشوع من أول الأسر النسطورية التي استدعاها الخليفة المنصور في فجر بغداد[1]، فقد كان عميدها جورجيس بن بختيشوع من الأطباء الذين وجد المنصور فيهم الراحة في جسمه، والخلاص من سقمه،[2] فتمثلت هذه العائلة في حياتها ببغداد مرحلة مهمة من مراحل تطور الفكر الفلسفي ببغداد وتأصيل علم الطب العربي الإسلامي فيها، وقيام (البيمارستانات) والمؤسسات العلمية على تراثها... فكان أولئك المبدعون وطلابهم وهم من قوميات شتى وديانات متعددة، شواهد إثبات على متانة المد (العقلاني) الذي تميز به العصر العباسي الأول، لرعاية الخلفاء للمبدعين وحمايتهم للعلماء المجددين مما كان له الأثر الكبير في قيام نهضة فكرية ظلت على الدوام تترسخ وتتجدد سواء منها الطبيعية أو الفلسفية أو نحوها، تواكبت مع معطيات العصر، وكفاءة أولئك الأعلام...

تجمع المصادر التاريخية التي درست أفراد هذه العائلة (البخاشعة) أن الواحد منهم كان طبيباً حاذقاً بن طبيب حاذق،[3] كان فيلسوفاً طبيباً، وطبيباً فيلسوفاً ،محباً للفلسفة وأهلها، معجباً بالطرح العقلي ودعاته، كانوا رعاة للترجمة والمترجمين، ولم أستثني منهم أحداً، يبذلون لهم بسخاء، يتابعون أخبارهم، يدعونهم للعمل بمعيتهم، عرف البخاشعة بالمودة والنبل وحسن المعروف، وكثرة

---

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٥٤، القفطي، المصدر السابق، ص٩٣-٩٤، ابن أبي أصيبعة، ج٢، ص٣٩-٤١.

[2] القفطي، المصدر السابق، ص٩٤، سأل واحد من الوزراء العباسيين بختشيوع: أريد أن تختار لي طبيباً ماهراً أكرمه وأحسن إليه، قال له بختشيوع لست أعرف في هؤلاء أحذق من ابني جبرائيل وهو أمهر مني في الصناعة، ص٩٤-٩٥.

[3] القفطي، المصدر السابق، ص٩٤.

البذل،[1] فلم يزل أمرهم يقوى في العلم ويتزايدون فيه،[2] ليس هذا فقط بل كانت لهم القدرة الفائقة على ترتيب العلاج المتقن وصنعه ووضع قوانينه ((على مقتضى أمزجة بلدانهم، حتى برزوا في الفضائل))[3] هذا التميز جعل البعض من مرضاهم ((يفضلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيين والهنود لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها عما استخرجوه من قبل أنفسهم، فركبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعت فيها كل حسنة))[4]

## جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع الجنديسابوري:

سماه ابن أبي أُصيبعة ((جورجيس بن جبرائيل))[5] وسماه القفطي ((جورجيس بن بختيشوع))[6] وسماه آخرون ((جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع))[7] وهو الأصح، رئيس أطباء جنديسابور (كان فاضلاً) وقد، طبب المنصور في علته عام (١٤٨هـ-٧٦٥م) حتى برأ منها وعاد إلى صحته وقد نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية[8]. وهو أبو الأطباء البخاشعة من بعده، الذين كان لهم صوت مسموع في (مدرسة بغداد الفلسفية) فيما

---

[1] ينقل القفطي: كان بختيشوع يهدي البخور ومعه في درج آخر فحم يتخذ له من قضبان الكرم والاترج والصفصاف المرشوش عليه عند إحراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور وماء الخلاف والشراب العتيق، ص٧٢-٧٣

[2] ابن النديم، ص٣٥٤-٣٥٥، القفطي، ص٧٢-٧٥، ابن أبي أصيبعة، ج٢، ص٣٧-٧٢.

[3] ابن أبي أصيبعة، ج٢، ص٦٥-٦٦.

[4] المصدر السابق، ص٦١-٦٦.

[5] عيون الأنباء، ص ٣٧.

[6] المصدر السابق، ص١٠٩-١١١.

[7] (حركة الترجمة في المشرق...) ص٨٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٤١٨.

[8] ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٤

بعد، (له من الكتب كتاب الكناش المعروف) على ما يعرض ابن النديم ومات بعد عام (١٥٢ هـ ٧٦٩م)[١] وقيل حتى بلغ عام (١٦٠هـ-٧٧١م).

## بختيشوع بن جورجيس بن جبرائيل بن بختشيوع:

((رئيس أطباء جند يسابور بعد أبيه جورجيس الذي استدعاه المنصور لمعالجته، وهو أبو جبرائيل ((بختشيوع الأكبر))[٢]، أحضره الخليفة المهدي لمعالجة أبنه الهادي، ثم أعاده إلى جند يسابور بعد أن رأى الطبيب أبا قريش عيسى يحسده، وعز على الخيزران آم الهادي والرشيد آن لا يطبب عند طبيبها أبي قريش[٣]، ثم أعاده الخليفة هارون الرشيد ثانية إلي بغداد عام (١٧١هـ/ ٧٨٧م)[٤]، وجعله ((رئيس الأطباء وله يسمعون ويطيعون))[٥]، بعد أن جمع الأطباء حوله وهم أبو قريش عيسى وعبد الله الطيفوري وداود بن سرابيون وجرجيس، الذين قالوا للخليفة مجتمعين ليس لنا أن نتكلم بحضور بختشيوع[٦]، وأراد الخليفة آن يمتحنه: فقال لأحد خدمه: ((أحضره ماء دابة حتى نجربه فمضى الخادم فأحضره قارورة الماء، فلما رآه قال: يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان، فقال أبو قريش: بل كذبت هذا بول حضية الخليفة، وقال بختشيوع لم يبل في هذه القارورة إنسان ألبته، آلا إذا انقلب هذا الإنسان بهيمة، لأنه ليس له

---

[١] ابن النديم، المصدر السابق ص ٣٥٤ و أبن ابي اصبيعه، المصدر السابق، ص٣٧؛ والقفطي المصدر السابق، ص،١١١

[٢] الطبري، التاريخ، ج٣، ص٣٣٣-٤٢٣.

[٣] ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ج٢، ص٤١-٤٣.

[٤] المصدر السباق، ص٤٢، القفطي، أخبار العلماء...، ص٧٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٤٥.

[٥] ابن أبي اصبيعه، المصدر السابق، ج٢، ص٤٣، والقفطي، المصدر السابق، ص٧١.

[٦] ابن أبي اصبيعه، المصدر السابق، ج٢، ص٤٢، القفطي، ص٧١.

قوام بول الناس ولا لونه ولا ريحه، فضحك الخليفة وضحك الجميع، فانقطع هذا لخدمة هارون الرشيد وتميز في أيامه...))[1].

ولم يترجم له أبن النديم، ويبدو انه خلط بينه وبين حفيده (بختشيوع بن جبرائيل) فقال عنه: (خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل)[2]، وليس هو كذلك بل هو حفيده (بختشيوع الأصغر) الذي نكبل به الخليفة الواثق، وصلحت حاله عند الخليفة المتوكل حتى بارى ((الخليفة في الزي واللباس والطيب والفرش))[3]...

## جبرائيل بن بختشيوع بن جورجيس بن جبرائيل الجنديسابوري:

((كان طبيباً حاذقاً نبيلاً له تأليف في الطب))[4]، خدم الخليفة الرشيد ومن بعده من الخلفاء وحل محل أبيه بختشيوع عند الخلفاء، (كان مشهوراً بالفضل جيداً في المداواة، عالي الهمة، رفيع المنزلة، كثير الإحسان)[5]، توفي (٢١٣/ ٨٢٨ م)، يقول القفطي: ((إن من أدب الطبيب إذا كان خاصاً بالملك، أن لا يخدم أحداً من أصحابه إلا بأمره، ولما أفاق جعفر من مرضه، قال للبختشيوع أريد أن تختار لي طبيباً ماهراً أكرمه وأحسن إليه، قال بختشيوع: لست أعرف في هؤلاء أحذق من ابني جبرائيل وهو أمهر مني في الصناعة، فقال له: أحضرنه، فلما

---

[1] ابن أبي أصبيعه، المصدر السابق، ج٢، ص٤٢-٤٣.

[2] الفهرست، ص٣٥٤، وقد صحح هذا القفطي في كتابه (أخبار العلماء...)، وقال: الحقيقة نه لا رأى السفاح ولا المنصور، وفصل القصة في ص٧١-٧٢، وقد فصل الدكتور رشيد الجميلي أمر هذه العائلة في كتابه (حركة الترجمة في المشرق الإسلامي...)، ص١٩١-٢٢٣.

[3] القفطي، المصدر السابق، ص٧٢.

[4] القفطي، المصدر السابق، ص٩٣-١٠٢.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٢ص٤٣.

حضر شكى إليه مرضا كان يخفيه، فدبره في مدة ثلاثة أيام وبرأ، فأحبه هذا مثل نفسه وكان لا يصبر عنه ساعة ومعه يأكل ويشرب))[1]...ثم انتقل جبرائيل إلى القصر العباسي ،بعد أن نجح على وفق قصة دراميّة في علاج صبية من صبايا الخليفة هارون الرشيد ((بعد أن تمطت ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها))، ولم ينفع معها علاج الأطباء، وبعد أن عرف جبرائيل علتها عالجها بطرق نفسية مصحوبة بإجراء عملي، فقد هرول نحو الصبية أمام جمع غفير من أهلها ((ونكس راس ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها فانزعجت الجارية، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها وبسطت يدها إلى أسفل ومسكت ذي....))[2] أسهم جبرائيل في الأحداث في البلاط العباسي كما أسهم أبوه من قبل وشهدا نكبة البرامكة سنة (١٨٧/ ٨٠٢ م)، كان جعفر قد دخل على الرشيد من دونما أن يستأذن على عادته، فقال الرشيد لجبرائيل وكان جالساً في بلاطه: ((يا جبرائيل يدخل عليك وأنت في منزلك أحد بلا إذن؟، فقال جبرائيل: لا، ولا يطمع في ذلك، قال الرشيد: فما بالنا يدخل علينا بلا إذن؟))[3]، وما هي إلا أيام حتى قتل جعفر البرمكي ونكل بأهله، ومن الطريف أن الخليفة هارون الرشيد على عظمته كان يقول ((كل واحد من ولدي عليّ رقيب، فمسرور رقيب المأمون وجبرائيل بن بختشيوع رقيب الأمين و....))[4]، ولذا أجلسه المأمون في بيته عام ٢٠٥هـ بعد أن رجعت إليه الخلافة، ومنعه من مزاولة مهنته[5]، إلا أنه سرعان

---

[1] القفطي، المصدر السابق، ص٩٤.

[2] القفطي، المصدر السابق، ص٩٤، ابن أبي أصيبعة، ج٢، ص٤٤.

[3] الطبري، التاريخ، ج١١، ص٦٦٧، وانظر ج١١، ص٧٣١، وفي الطبري تفاصيل مهمة عن مكانة هذا الطبيب ودوره في الحياة العامة زمن الرشيد وزمن ابنيه الأمين والمأمون، وانظر على سبيل المثال ج١١، ص٧٣٥، والمسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣٥٥.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج١١، ص ٧٣٥.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٢، ص٤٥، القفطي، المصدر السابق، ص٩٨.

ما عاد الود بينهما حتى ((صار المأمون إذا خاطبه كناه بأبي عيس جبرائيل، وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه))...[1] كان ابن أبي أُصيبعة من المعجبين بشخصية جبرائيل بن بختشيوع فأفرد له ترجمة ضافية وقال: ((إن البعض من المصنفات الفلسفية قد نقلت باسمه أيضاً))[2] وذلك لما عرف عنه ((من كتابات في هذا الحقل أولاً وللجمع بين الطب والفلسفة ثانياً))[3]...

## بختشيوع بن جبرائيل بن بختشيوع:

هو بختشيوع (الأصغر) (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، وآخر البخاشعة الذين كان لهم صولة وجولة في رحاب الفكر في (مدرسة بغداد الفلسفية) في تأسيساتها الأولى وعند نشأتها، ((كان طبيباً حاذقاً ابن طبيب ابن طبيب))[4]، ((بلغ من عظمة المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره))[5]، هو ممن أسهم في ثقافة جيله بذل بسخاء لرعاية المترجمين والنقلة للكتب الطبية والفلسفية على حد سواء، كانت رعايته هذه سبباً في إشاعة علوم كثير جلبت مخطوطاتها من مضانها، وترجمها المترجمون، فقد ((نقل حنين بن إسحاق لبختشيوع بن جبرائيل كتباً كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية))[6]، فكان واحداً من أشهر رعاة حركة الترجمة بصورة خاصة ومجمل

---

[1] القفطي، ص٩٩، ابن أبي اصيبعة، ج٢، ص٤٥.

[2] عيون الأنباء، ص٤٣-٦٢.

[3] وجده الدكتور رشيد الجميلي أيضاً (أحد العاملين على ازدهار حركة الترجمة، مدفوعا في ذلك برغبته في الاطلاع على تراث اليونان الطبي لزيادة خبرته وتجاربه فيه فأحاط النقلة برعايته)، ص١٨٣-١٨٤.

[4] ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء... ج٢، ص٦٢-٧٢.

[5] المصدر السابق، ص٦٢، وانظر البيهقي، أخبار العلماء...، ص٧٢-٧٣.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢.

الثقافة في (مدرسة بغداد الفلسفية) عامة، وكان له ((أثر مهم في زيادة عدد الكتب الطبية اليونانية... وذلك نتيجة لتكليفه أبرز النقل في عصره بإعداد ترجمات وبخاصة تلك التي تضمنت بحوث جالينوس في علم التشريح))[1]...

وعلى الجملة فقد جمع البخاشعة من جدهم جرجيس على زمان المنصور مؤسس بغداد ومدرستها الفلسفية وحتى حفيدهم بختشيوع الأصغر قد جمعوا في عقولهم وعملهم وممارساتهم كل ثقافة عصرهم، وقل أن يكون لهم في ذلك نظير، فقد كان العلماء يبزون في ناحية من النواحي، ولكن هؤلاء القوم قد أحاطوا بثقافة عصرهم وعلومه فكانوا أطباء، ندماء، فلاسفة، مؤلفين، مترجمين، رعاة للترجمة، يسخون بالعطاء لشراء مخطوطة، ولا يبالون في البذل لمن يقوم بنقل كتاب، وهم قوم سريان نصارى، ليس من دين أهل البلد، مما يدل على تسامح الناس وعظمة الإسلام...

## سلم صاحب بيت الحكمة:

هكذا جاء ذكره عند ابن النديم في الفهرست، وبهذا الاسم ذكره ابن أبي أُصيبعة، ولم يذكر أي من المعنيين بعلم الرجال اسم أبي سلم أو جده أو نسبه أو أي شيء يمكن الاستدلال منه على هوية هذا الرجل الذي شغل منصباً مهماً في بيت الحكمة فمرة هو صاحبه[2]، ومرة أمينا على الكتب التي نقلت إلى المأمون من القسطنطينية ثم صار ينقل مع سهل بن هارون من الفارسية إلى العربية، وقد نقل

---

[1] ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق ج٢، ص٦٢-٧٢، د. عبد الجبار ناجي، بيت الحكمة، رؤية تاريخية، ص١٤، د. رشيد الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي...، ص١٥٢، ص١٨٤-١٨٦.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص١٣٤، ٣٠٤، ٣٢٧، ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء...، ص١٤٣.

معه جوامع لكتاب ((كليلة ودمنة))[1]، وقام سلم بعمل عظيم لبيت الحكمة حين شارك مع الوفد المسافر إلى ملك الروم للتحري واختيار الكتب والمخطوطات من (العلوم القديمة المخزونة في بلد الروم)، فقد وجد المأمون في منامه مرة ((كأن رجلا أبيض اللون مشرباً حمرة، واسع الجبهة، مقرون الحاجب، حسن الشمائل، جالس على سريره، قال المأمون: وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة، فقلت له: من أنت؟، قال: أنا أرسطوطاليس، فسررت به وقلت: أيها الحكيم أسألك، قال: سل، قلت: ما الحسن؟، قال: ما حسن في العقل، قلت: ثم ماذا؟، قال: ما حسن في الشرع، قلت ثم ماذا؟، قال: ما حسن عند الجمهور، قلت: ثم ماذا؟، قال: لا ثم...، فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب، فأن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون... فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فاخذوا مما وجدوا ومما اختاروا، فلما حملوه أليه أمرهم بنقله فنقل[2]))...

هكذا وبهمة المأمون وبجهد آبائه من قبله وبهمة أولى الأمر في البلاط ورعاة العلم والمهتمين بنقل الفكر الآخر إلى بلاد الإسلام، توسع العمل في بيت الحكمة، وزادت كتبه وتعددت أقسامه حتى وجدنا: محمد وأحمد والحسن أولاد شاكر المنجم يبذلون الرغائب ((وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلد الروم فجاءوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والارتماطيقي والطب... وانهم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن

---

[1] ابن النديم، المرجع السابق، ص١٢٠، وقارن الديوجي، بيت الحكمة، ص٣٤-٣٦، د. رشيد الجميلي، الترجمة...، ص٢٩، ٩٢، ١٠٦.

[2] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٢٧، انظر ابن أبي أصبيعه، عيون الأنباء...، ص١٤٣.

إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة))[1]...

## سهل بن هارون:

((صاحب بيت الحكمة ويعرف بابن راهبون الكاتب))[2]، من البلغاء[3]، ومن أعضاء وفد المأمون إلى ملك الروم لاختيار الكتب[4]، كان ((ممن يعمل الأسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم، على غرار كتاب (كليلة ودمنة)[5]، كان من فصحاء بيت الحكمة يعتمد عليه المأمون وصار شريكاً لسلم صاحب بيت الحكمة، وينقل عنه ابن النديم تفلسفاً في عدد حروف العربية الثمانية والعشرين حرفاً، فهي على رأيه (على عدد منازل القمر)، وإن الكلمة في العربية غاية ما تبلغ سبعة حروف (على عدد النجوم السبعة) وإن حروفها الزوائد اثنا عشر حرفاً على عدد البروج الاثني عشر[6]....

## سعيد بن هُريم الكاتب:

---

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٤

[2] ابن النديم، الفهرست، ص١٣.

[3] المصدر السابق، ص١٣٩.

[4] المصدر السابق، ص٣٠٤.

[5] انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص٢٦٦، ويذكر الحموي إن له من التصانيف (كتاب ثعلة وعفراء) و(كتاب النمر والثعلب)، و(كتاب ندود وودود ولدود)، ويورد أبو عثمان الجاحظ رسالة سهل بن هارون بالبخل كان قد أرسلها إلى ابن عمه من آل راهبون، وأرسل نسخة منها إلى الوزير الحسن ابن سهل، فذمها الوزير ولم يكرمه، البخلاء، ص٦-٩، ابن النديم، ص١٣٣.

[6] ابن النديم المصدر السابق، ص١٣.

كان شريك سهل بن هارون في بيت الحكمة وكان بليغا فصيحا مترسلا ويحكي عنه الجاحظ في مواضع، وله من الكتب (كتاب الحكمة ومنافعها) ومن المترجمين البارزين في بيت الحكمة وله شأن فيه[1]...

## يحيى بن البطريق:

من النقلة المجيدين الذين أسهموا في عملية الانفتاح على الفكر الآخر وصيروا عصر المأمون عصراً ذهبياً، فازدهرت في زمانهم حركة الترجمة نتيجة لإبداعهم غير المحدود فاحتضنه ورفاق له (بيت الحكمة)، وساروا تحت سقف هذه الأكاديمية الثقافية نحو الأفضل والأنفع، نقل ابن البطريق (كتاب طيماوس) بثلاث مقالات، وهو من كتب أفلاطون التي أصلحها حنين بن اسحق فيما بعد[2]، وعدد ابن النديم جملة كتب كان قد نقلها ابن البطريق أو أسهم في إعدادها في (بيت الحكمة)[3]... ووجد ابن أبي أُصيبعة أن ابن البطريق ((كان لا يعرف العربية حق معرفتها ولا اليونانية، وإنما كان لاتينياً يعرف لغة الروم))[4]، ومع هذا فقد كان يحيى بن البطريق وأبوه البطريق المعروف زمن المنصور وابنه المهدي ممن اسهموا بإسهامات خالدة في حركة الترجمة في (مدرسة بغداد الفلسفية) وممن كان لهم الصوت المسموع في (بيت الحكمة)، فهو كما وجده ابن جلجل أميناً على الترجمة حسن التأدية للمعاني وترجم كثيراً من كتب الأوائل

---

[1] المصدر السابق، ص١٣٤.

[2] المصدر السابق، ص٣٠٧.

[3] الفهرست، ص٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٢، ٣٤٩.

[4] عيون الأنباء...، ج٢، ص١٧٤.

وهو الذي ترجم كتاب أرسطوطاليس ((السياسة في تدبير الرياسة))[1]، و((كانت الفلسفة أغلب عليه من الطب))[2]، توفي ابن البطريق عام (٢٠٠/ ٨١٥م)...

## الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي:

من العاملين المعروفين والمترجمين الجيدين في بيت الحكمة، فسر ونقل العديد من الكتب من اليونانية إلى العربية تلبية لطلبات المأمون، كان من أهمها (كتاب المرأة لأرسطو) و(كتاب اتولوجيا لارسطو) وترجم (كتاباً لاقليدس)[3]، وقيل أن الحجاج بن يوسف كان قد نقل كتاب (المجسطي) لبطليموس، وهو كتاب من ثلاث عشرة مقالة ((وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك، وفسره جماعة فلم يتقنوه، فندب (البرمكي) لتفسيره أبا حسان وسلم صاحب بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه))[4]، والحجاج أيضاً كان من جملة الوفد المسافر إلى اليونان لاختيار الكتب الجياد، ويعد الحجاج بن يوسف من أهم النقلة لكتاب (أصول الهندسة) لاقليدس، قام بنقله ((نقلين أحدهما يعرف بالهاروني -نسبة إلى الخليفة هارون الرشيد- وهو الاول، ونقلاً ثانياً وهو المأموني -نسبة إلى الخليفة المأمون- وعليه المعول))[5]، توفي الحجاج بن مطر بن يوسف سنة (٢٢٠/٨٣٥ م).

---

[1] طبقات الأطباء والحكماء، ص٦٧.

[2] القفطي، ص٢٤٨، ويقول أيضاً (يوحنا ابن البطريق الترجمان كان أمينا على الترجمة حسن التأدية للمعاني، ألكن اللسان في العربية).

[3] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤، ص٣١٢، ٣٢٣، ٣٢٥.

[4] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٢٧.

[5] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٢٥.

## يحيى أو يوحنا ابن ماسويه:

كان معظماً ببغداد، جليل القدر في(مدرسة بغداد الفلسفية)، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة، فكان أميناً على الترجمة، رتب له كتاباً حاذقاً يكتبون بين يديه، خدم الرشيد والأمين والمأمون ومن بعدهم إلى أيام المتوكل[1]، ((له كلام حسن، وتصانيف مشهورة))[2] تتمثل فيه مقدمات النضج في الفكر ومستلزمات الأخذ الهادف من الحضارات السائدة، كان قد نضج على يديه تلميذ نجيب من تلاميذ (بيت الحكمة) هو حنين بن اسحق[3]، وإن لقراءة فاحصة لقائمة الكتب التي أنتجها تؤكد إن عصره متميز بحق، له من الكتب، كتاب الكمال والتمام، كتاب دفع ضرر الأغذية، علاج الصداع، (علاج الصوت والبحة) و(كتاب السواك والسنونات) كتابه (محنة الطبيب) من أمتع الكتب وغيرها كثير[4].

## الفضل بن سهل بن نوبخت:

((كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد، ولهذا الرجل نقل من الفارسية إلى العربية ويعول في عمله على كتب الفرس))[5]، وهو ((مشهور من أئمة المتكلمين، وله ذكر في كتب المتكلمين))[6]، نقل ابن النديم من كتابه (النهمطان) مقتطفات من صنوف العلوم وأنواع الكتب[7]، وتلك إشارة تعني فيما تعنيه قوة

---

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٥٤.

[2] القفطي، أخبار العلماء، ص٢٥٢-٢٥٤.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء وطبقات الأطباء، ج٢، ص١٢٣-١٢٥.

[4] ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٤.

[5] ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٣.

[6] القفطي، أخبار العلماء...، ص١٦٨-١٦٩.

[7] ابن النديم، المصدر السابق، ص٢٩٩-٣٠١.



obeikandl.com

معرفة هذا العالم بعلوم النجوم والفلك ونحوها من علوم الأوائل، التي كانت (مدرسة بغداد الفلسفية) بودقة تتصهر فيها العلوم للإنتاج الأحسن...، والفضل النوبختي هذا من عائلة معروفة بالتنجيم وهو غير الفضل بن سهل السرخسي ذي الرئاستين (السيف والوزارة ) زمن المأمون، ولكنهما كانا في عصر واحد ويخدمان خليفة واحداً وهو المأمون ، وكلاهما له اهتمام واختصاص بالنجوم والفلك وكلاهما فارسيان ولكن الأول يعرف بالنوبختي والآخر يعرف بالسرخسي نسبة إلى مدينة سرخس في خراسان... وكثيراً ما يختلط الأمر في أخبارهما لاسيما في العلوم والفلك وليس السياسة والرئاسة.

الفضل السرخسي الوزير، كان ينقل عن الفارسية بإتقان وكذلك الفضل النوبختي ينقل عن هذه اللغة بإتقان أيضاً.

## الحسن بن سهل بن نوبخت:

ذكره ابن النديم وقال ((له من الكتب كتاب الأنواء))[1]، وقال القفطي ((الحسن بن سهل بن نوبخت، كان مشاركاً في هذه العلوم (علوم الأوائل)، وآل نوبخت كلهم فضلاء لهم فكرة صالحة ومشاركة في علوم الأوائل))[2]، والحسن بن سهل الوزير السرخسي هو غير الحسن بن سهل بن نوبخت وإن اشتركا في كثير من القواسم، وتشابها في كثير من الأحداث، ولكن يبدو أن السرخسي كان قريب الإسلام، أسلم على يد المأمون، كما أسلم أخوه الفضل على يده أيضاً ، بعد أن نقل من الفارسية إلى العربية كتاباً فاعجب بفهمه وبعبارته يحيى بن خالد

---

[1] الفهرست، ص٣٣٤.

[2] أخبار العلماء..، ص١١٤.

البرمكي، فتنبأ له بأنه سيبلغ مبلغا رفيعاً[1]، ولكن آل نوبخت أبعد إسلاماً، فقد أسلم جدهم نوبخت منذ عهد المنصور وقد تنبأ نوبخت هذا للمنصور بانـدحار حركـة ((محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وصدقت نبوءته))[2].... وعلى كل حـال فهؤلاء الأشخاص الأربعة إن كانوا هم أربعة كذلك فقد كان لهم شأن عظيم فـي (مدرسة بغداد الفلسفية)، وإن كانا هما الوزيرين فليس هناك اختلاف كثير.

## عمر بن الفرخان الطبري:

((أبو حفص عمر بن حفص، (المفسر لكتاب الأربعة لبطليموس) ونقلها له ابن البطريق، وله من الكتب، (كتاب المحاسـن ) وكتـاب (إتفـاق الفلاسـفة ) وخلافهم في خطوط الكواكب)، وابنه محمد أحد أفاضل المنجمين ولـه كتـب))[3] أيضاً، كان ((أحد رؤساء التراجمة، والمتحققين بعلم حركات النجوم وأحكامهـا))[4] عالماً حكيماً، كان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي، وبعد نكبة البرامكة، انقطع إلى الفضل بن سهل وزير المأمون،... وعمر ابن الفرخان هذا أحد النقلة الأربعة الحذاق في الإسلام[5]، أسهموا في ازدهار الحركة الثقافية في بغداد كان لهـم قـدم صدق في (مدرسة بغداد الفلسفية) وأساس متين في (بيت الحكمة ) لا يقل أهميـة من دور حنين بن إسحاق، والكندي، وثابت بن قره، إن لـم يكـن متممـاً لهـم ومؤسساً مثلهم....

---

[1] الجهشياري، الوزارة والكتاب، ص٢٣،

[2] فصل ذلك، الطبري، التاريخ، ج١٠، ص٢١٥٠، أحداث عام ١٤٥.

[3] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٣٢، القفطي، أخبار العلماء، ص١٦١-١٦٢.

[4] القفطي، أخبار العلماء، ص١٦١.

[5] صاعد، الأندلس، طبقات الأمم، ص٧٨.

## محمد بن موسى الخوارزمي:

((كان منقطعاً إلى خزانة (بيت الحكمة) للمأمون، من أصحاب علوم الهيئة، كان الناس يعولون على زيجه الأول والثاني، ويعرفان بالسند هند))[1]، وهو ((الزيج المشهور ببلاد الإسلام))[2]، الذي اختصره من كتاب (السند هند الكبير) الذي ترجمه إبراهيم الفزاري[3]، وكان كتاب الخوارزمي (الجبر والمقابلة) ألفه للخليفة المأمون (لإيضاح ما كان مستبهماً، وتسهيل ما كان مستوعراً، كتاباً مختصراً لما يلزم الناس من الحاجة إليه)[4]، ولذا يعد الخوارزمي من رجال بيت الحكمة المعروفين بالرياضيات والفلك الذين ابتكروا علم الجبر والمقابلة، وما زال باسمه حتى اليوم، وإليه يعود الفضل في تناول الأرقام وشيوعها، فقد كان كتابه في الحساب الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة وقد نقل قديما إلى اللاتينية تحت اسم (الغورتمي) نسبة إلى الخوازرمي[5]، وما يزال اسمه يذكر على انه المخترع للطريقة الشائعة في تفسير المعادلة الجبرية من الدرجة الثانية، وقد ظل كتاب الخوارزمي أقدم كتاب في موضوعه، وقد ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني، فقدم به إلى أوربا علم الجبر مرتبطاً بكلمة (الجبر) وهي الاسم العربي لهذا العلم، وقد ظل هذا الكتاب مرجعاً لهذه الدراسات بالجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر[6]....

والكلام في سيرة هذا العالم واسعة نكتفي بهذا القدر...

---

[1] ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٣.

[2] صاعد، الأندلس، طبقات الأمم، ص٧٨.

[3] المصدر السابق، ص٧٨-٧٩.

[4] الخوارزمي، كتاب الجبر والمقابلة، ص١٦.

[5] دراسات تاريخية، ص٧٢، الجميلي، حركة الترجمة...، ص٣٩٢.

[6] د. الجميلي، حركة الترجمة...، ص٣٩٦، وهوامش، ص٣٩٥-٣٩٧، بهذا المصدر.

ولو استرسلنا في إحصاء ودراسة العلماء والعاملين في أكاديمية (بيت الحكمة ) من أول مقدمات العمل فيها وحتى ظهور البيت في زمن الرشيد وتعملقه وازدهاره زمن المأمون وصيرورته واستمراره إلى ما بعد الفترة التي حددتها الدراسة للتاسيسات الأولية للفكر الفلسفي في بغداد (١٤٥/٢٥٢هـ-٧٦٢/٨٦٦م) لفاض البحث وذهبت الفائدة، غير أن هذه الإشارات لا تغمط حق أحمد بن يحيى البلاذري المؤرخ العبقري، مؤسس علم التاريخ صاحب كتابي (أنساب الأشراف) و(فتوح البلدان) المتوفى عام (٢٧٩/٨٩٢م)، فقد كان أحد المترجمين في بيت الحكمة (وكان ناقلاً إلى العربية من الفارسية)[1]، وكذلك لا يتخطى القسم الذي ترأسه علان الوراق النسابة، في التصحيف والتجليد والتذهيب، وما إلى هذه العملية من صلة، ولا ما أضافه عبد المسيح بن ناعمه الحمصي (٢٢٠/ ٨٣٥ م)، ولا أي من أقاربه وعائلته، والدراسة تنحني احتراماً إلى كل من عمل في بيت الحكمة وأضاف إلى الفكر في (مدرسة بغداد الفلسفية)، مثل المترجم اسحق بن أبي الحسن بن إبراهيم، وعلي بن يحيى المنجم، وحبش بن الحسن الاعسم، وأحمد بن محمد السرخسي الفيلسوف الأخير في البناء التأسيس (لمدرسة بغداد الفلسفية) (ق ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩ م)، بعد شيخه الكندي... على أن هذه الدراسة سوف تفصل القول في المبحث القادم في أحوال (الفلاسفة المترجمين) الذين كان لهم القدح المعلى في مسيرة الفكر الفلسفي في بغداد وتأسيساته الأولى.

ثم حمل راية (مدرسة بغداد الفلسفية) عالية ورسمها عالمية يشيد بمكانتها العلماء في أرجاء الدنيا وينهل من جودها أهل المعرفة في أنحاء المعمورة مؤسس الفلسفة العربية وأول من أطلق كلمة (فلسفة) على هذا المعنى، يعقوب بن إسحاق الكندي...

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٧١.

## المبحث الثالث

## الفلاسفة المترجمون

### حنين بن اسحق (ولد ١٩٤هـ/ ٨٠٩م-٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)

أبو زيد حنين بن اسحق العبادي[١]، كان فصيحاً لسناً، بارعاً، باللغة اليونانية والسريانية والعربية[٢] والفارسية[٣]، عصاميا، أنشأ نفسه بنفسه وباقتدار عال، جاب الآفاق منصرفاً إلى التعليم والتعلم ومعرفة لغات أهل الحضارات في زمانه والتبحر في علومهم، وأول ما حصل له في الاجتهاد والعناية في صناعة الطب، فقرأ على يوحنا بن ماسويه، ولكن هذا طرد حُنيناً من مجلسه فخرج منه ((باكياً مكروباً))[٤]، ويفسر ابن أبي أُصيبعة أسباب هذا الطرح بسببين الأول كان حنين إذ ذاك صاحب سؤال، وذلك يصعب على يوحنا والسبب الثاني أن يوحنا كان يباعده من قلبه، لأن حنيناً كان من أبناء الصيارفه من أهل الحيرة، وأهل جنديسابور، وخاصة متطببوها ((ينحرفون عن أهل الحيرة، ويكرهون أن يدخل في صناعتهم

---

[١] المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨١ فما بعد، ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٤، ومواد أخرى متفرقة، لدى ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء...، ج٢، ص١٢٩ فما بعد، القفطي، أخبار الحكماء...، ص١١٧، فما بعد، ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمة، ص٥٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢١٧-٢١٨.

[٢] ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٥٢، ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء...، ج٢، ١٣٩، ابن خلكان، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٧-٢١٨.

[٣] القفطي، المصدر السابق، ص١١٨، ٤١، ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠، القفطي، المصدر السابق، ص١٢٠.

[٤] ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ص١٤٠، القفطي، المصدر السابق، ص١٢٠.

أبناء التجار))[1]، هذا الأمر دفع حنيناً أن يجهد نفسه اكثر فاكثر للتحصيل فسافر أولاً إلى جنديسابور للدراسة وتحصيل الطب ثم ((قام مدة في البصرة))[2]، يدرس اللغة العربية على طلاب الخليل وسيبويه[3]، وأدخل كتاب(العين) بغداد[4] ثم أتقن صناعة الطب ((وكان فاضلاً في هذه الصناعة))[5] كان فيها إماما[6] ((حسن النظر في التأليف والعلاج، ماهراً في صناعة الكحل))[7]، ثم عاد قوياً متمكناً ينافس أستاذه السابق يوحنا بن ماسويه فطلب ((هذا اللطف وإصلاح ما بينهما))[8] فكان لابن ماسويه ما أراد ولازمه حنين ((منذ ذلك الوقت وتتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب))[9] ثم برع في الترجمة، بل كان شيخ المترجمين، وعنوان عصره، وكان من أبرع من ترجم بالمعنى، ومن أدق من تصدى للكلمات والمصطلحات الصعبة التي لا مثيل لها في اللغة العربية، ووجد لها اللفظ

---

[1] عيون الأنباء، ج٢، ص١٣٩.

[2] المصدر السابق، ص١٣٩، القفطي، ص١١٨.

[3] ذكر ابن صاعد، ص٥٥، وابن أبي أصبيعة، ص١٣٩، أن شيخه في العربية كان الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م) وهو ليس صحيحاً لأن حنيناً كان قد ولد بعد وفاة الخليل بما يقرب من عشرين سنة، ولد الخليل بن أحمد الفراهيدي عام (١٠٠هـ/ ٧١٨م) وتوفي عام (١٧٥هـ/ ٧٩١م) (إنباه الرواة، ج١، ٣٤١، أما سيبويه فقد كان قد مات على ارجح الأقوال سنة (١٨٠هـ/٧٩٧م) الخطيب البغدادي، التأريخ ج١٢، ص١٩٨، وهو أيضاً مات قبل ولادة حنين، واقرب الطلاب الأخفش (ت ٢١٥هـ/ ٨٣١م) ومحمد بن سلام (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٩٦.

[4] ابن صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص٥٥.

[5] ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٢.

[6] ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٢.

[7] القفطي، المصدر السابق، ص١١٨. ابن أبي أصبيعة، ج٢، ص١٤٢.

[8] ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٩.

[9] ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٣.

المناسب، دحض وبصيغة ملموسة أقوال الكثيرين ممن كان يتهم أولئك المترجمين الأوائل. بأنهم كانوا آلة للنقل في ترجماتهم لمصنفات الأمم الأخرى ولا نبوغ فيهم، فكان حنين بن إسحاق مترجماً بالمعنى وملخصا للكتب شارحا لبعضها، حتى غدت تراجمه وشروحه وملخصاته وكذلك كان ابنه اسحق وابن أخته حبش الاعسم، مدرسة متفردة في هذا الفن طبعت العصر بطابعها، سهلة التناول خالية من التعقيد، مع دقة بالتعبير وخلو من الحشو والغموض إذا ما قورنت بأصلها اليوناني[1]، وكان حنين ((أشد الجماعة اعتناء بتعريبها (الكتب اليونانية)...

ولولا ذلك التعريب لما أنتفع أحد بتلك الكتب... ولا جرم فان كل كتاب لم يعربوه باق على حاله ولا ينتفع به))[2]...

ساح حنين بن اسحق البلاد في جمع الكتب القديمة، ودخل بلد الروم، واكثر نقوله لبني موسى)[3]، و((أنه سافر إلى بلاد كثيرة، ووصل إلى أقصى بلاد الروم يطلب الكتب التي قصد نقلها)[4]، وقعد في جملة المترجمين يكتب الحكمة واستخراجها إلى السرياني وإلى العربي[5]، إلا أن جل عنايته كانت مصروفة إلى نقل كتب جالينوس الطبية وكان أقل عناية بالكتب الحكمية، مثل كتب أرسطوطاليس وغيره من الحكماء، حقاً كان ماهراً في دراسة وترجمة كتب جالينوس، ((ثم اختير للترجمة وائتمن عليها))[6]، الأمر الذي كلفه الخليفة المأمون يوم كان فتي السن (وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى

---

[1] فصل هذا وأشار إليه بإسهاب د. رشيد الجميلي، حركة الترجمة في الشرق الإسلامي...، ص٢٤٥-٢٧١.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان...، ج٢، ص٢١٧.

[3] ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٢، ابن جلجل، طبقات الأمم، ص٦٩.

[4] ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء... ج٢، ص١٤٣.

[5] القفطي، أخبار الحكماء، ص١١٧-١١٨.

[6] ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ص١٤١، وكذلك القفطي، المصدر السابق، ص١١٩.

العربية وإصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره... وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلا بمثل)[1] كما كان محمد واحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر المنجم، ((يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق... في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة))[2]، ونقل حنين الكتب الطبية إلى جبرائيل بن بختيشوع سيما كتاب جالينوس في التشريح، ((ولم يزل أمره يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر في النقل والتفسير حتى صار ينبوعاً للعلوم ومعدناً للفضائل))[3]، لم يطنب أهل الصنعة بمدح ترجمات أحد وعلم آخرين مثلما أفردوا لحنين بن اسحق المساحات الواسعة من كتبهم واثنوا عليه الثناء الجميل فقد كان قد اطلع على أسرار العلم في مدرستي الإسكندرية ولغتها اليونانية وجنديسابور ولغتها الفارسية فكان جليلاً في الترجمة ((له تواليف نافعة بارعة))[4]، و((هو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص، وكشف ما استغلق منها، وأوضح مشكلها... وعمد إلى كتب جالينوس فاحتذى فيها حذو الإسكندرانيين، وصنعها على سبيل المسألة والجواب فأحسن في ذلك))[5]، وتقصى حنين بن اسحق كتب الحكمة ووفق في تحصيلها غاية التوفيق ((وأحكم اليونانية عند دخوله إلى تلك الجهات وحصل نفائس هذا العلم وعاد إلى بغداد يلازم بنى موسى بن شكر، ورغبوه في النقل من اللسان اليوناني إلى العربي وغرموا على ذلك الجمل العظيمة، ولم يزل معظماً مكرماً في زمانه

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص١٤٣، ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٠٤.

[2] القفطي، أخبار الحكماء...، ص١١٨-١٢١، الشهرستاني، ٣٢٠، ص٥، السبكي، طبقات...، ج٣، ص٢٧.

[3] القفطي، أخبار الحكماء...، ص١١٨-١٢١، الشهرستاني، الملل والنحل...، ج٣، ص٥، السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٧.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٣.

[5] ابن أبي أصبعيه، المصدر السابق، ص١٦٣.

مشاراً إليه في هذا الشأن))[1] فكان من أبرز الناس في (مدرسة بغداد الفلسفية) في تأسيساتها الأولى وبفضله قامت حركة الترجمة قويةً أصيلةً، فكان من المؤسسين الخالدين الذين قعدوا قواعد حركة الترجمة ومضى بها إلى حيث الكمال وأضحت في عهده حركة تقدمية من شأنها مد الحضارة بمقومات التقدم والرقي، الأمر الذي وسم (مدرسة بغداد الفلسفية) بوسمه، وطرز حركة الترجمة في بغداد باسمه، علماً من أعلام الترجمة...

استعان حنين بخطاطين وكتاب ومجلدين ووراقين لإنجاز أعماله هم خير الناس في عصره كان منهم (رجل يعرف بالأزرق) يقول ابن أبي أُصيبعة: ((رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخط الأزرق، وبعضها عليه تتكيت بخط حنين بن إسحاق باليوناني، وعلى تلك الكتب علامة المأمون))[2]، وكان حنين يوصي الأزرق هذا أن يكتب ((بحروف كبار وبخط غليظ في أسطر متفرقة))[3] وورق غليظ لتعظيم حجم الكتاب، وبالتالي زيادة أجره...

ومن الذين نقل لهم حنين وترجم الكتب التي رغبوا فيها غير ما ذكرنا الأطباء البخاشعة والطبيب الطيفوري والوزير محمد بن عبد الملك الزيات وغيرهم، ووقفت كتب التراجم على فهارس مفصلة للكتب التي ترجمها حنين بن اسحق من اللغات الحية في عصرها، أو التي أصلحها أو الكتب التي ألفها بنفسه فكانت كبيرة وكثيرة وجديرة أن تكون أصلاً من أصول علوم الطب والفلسفة وغيرها من العلوم...

وقد بولغ في الأجر الذي كان يأخذه حنين جراء عمله، يقول ابن أبي أُصيبعة ((ومما يحكى عنه أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من

---

[1] ابن النديم، ص٣٠٤.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٣-١٤٤.

[3] المصدر السابق، ج٢، ص١٥٩.

الكتب))[1] ويشكك ابن أبي أُصيبعة بأخلاق حنين للحصول على اكبر كمية من الذهب جراء أعماله فيقول: ((لقد وجدت في هذه الكتب، كتباً كثيرة... وهي مكتوبة بحروف كبيرة وبخط غليظ في أسطر متفرقة، وورقها كل ورقةٍ منها بغلظ ما يكون من هذه الأوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات أو أربع)) ويستمر ابن أبي أُصيبعة في غمزه فيقول: ((وكان قصد حنين حينئذ بذلك تعظيم حجم الكتب وتكثير وزنه لأجل ما يقابل له من وزنه دراهم،)) وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد أي أنه كان يرغب بالتحايل على المستفيدين من الترجمة بزيادة حجم الكتاب، ويبدو أن ذلك قد حُمل اكثر مما يُحتمل، ولعل قصد حنين كان شريفاً على قول من قال ((أنه نتيجةً لغلظ ورق الكتاب بقيت هذه السنين المتطاولة من الزمن))[2] وحافظ على الكتاب من آفات الدهر وهو مقصد شريف ولا شك...

ولحنين رسالة كان قد ألفها فيما أصابه من المحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من منافسيه وحاسديه من أهل زمانه، وهي ضريبة التفوق على ما يبدو في كل زمان ومكان سواء هي بين العلماء وعند الجهال... يقول حنين: ((انه لحقني من أعدائي ومضطهدي، الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقي، الظالمين لي، المتعدين عليّ، من المحن والمصائب والشرور ما منعني من النوم وأسهر عيني، وأشغلني عن مهماتي وكل ذلك من الحسد لي على عملي... بغير جرم لي إلى وأحد منهم ولا جناية، ولكنهم لما رأوني فوقهم، وعالياً عليهم بالعلم والعمل، ونقلي إليهم العلوم الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها، ولا يهتدون إليها، ولا يعرفون شيئاً منها في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة، ولا نقص فيها ولا زلل ولا ميل لأحد من الملل، ولا استغلاق ولا لحن، باعتبار أصحاب البلاغة

---

[1] المصدر السابق، ص١٤٧-١٥٠.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص١٥٩.

من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النحو والغريب ولا يعثرون على سيئه ولا شكله ولا معنى، ولكن بأعذب ما يكون عن اللفظ، وأقربه إلى الفهم يسمعه من ليس صناعته الطب، ولا يعرف شيئاً من طروحات الفلسفة))[1]، نعم هو رجل عالم غير مدعٍ كان نقله هو القدوة، وكانت ترجماته هي الراجحة، فاق المترجمين السابقين واللاحقين، ولكن هؤلاء الذين عاصروه، كانوا يرمون سفك دمه من الحسد حتى قال مرة ((هممت أن اقتل نفسي من الغيظ والزرد))[2] حتى مات بالفعل من الغم على ما يذكر ابن جلجل[3]، ((لست خلون من صفر سنة مائتين وأربع وستين للهجرة، وكانت مدة حياته سبعين سنة))، المجد للعلماء الخالدين... وحنين بن اسحق في الصف الأول من علماء (مدرسة بغداد الفلسفية) وممن شق لها الطريق للاطلاع على الفكر الآخر...

ويكفي (مدرسة بغداد الفلسفية) فخراً أن لها مؤسسين أفذاذاً كحنين بن اسحق العبادي وابنه اسحق بن حنين، وابن أخته حبش بن الحسن الاعسم، وثابت بن قرة الحراني، الذين خلفوا وراءهم ثروة فكرية هائلة أفردت لها المصنفات وصنعت فيها الفهارس، فلقد كان لحنين وحده فهرست ضم نحو مائتين وستين كتاباً مترجماً وشرحاً وتفسيراً وضم نحو مائة وخمسة عشر كتاباً مؤلفاً في الطب والتشريح والفلسفة والعلوم الاخرى، ومؤلفات أبوقراط، وأفلاطون، وأرسطو، والاسكندر الافرودسي نجد تفاصيلها في كتاب الفهرست لابن النديم وفي كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، والبيهقي وغيرهم.

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٥١، طبقات الأمم، ص، ٢٥-٦٠.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٦.

[3] الفهرست، ص٣٠٤ فما بعد، عيون الأنباء...، ج٢، ص١٤٧، فما بعد، القفطي، ص١١٧ فما بعد.

## قسطا بن لوقا البعلبكي (ولد ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م – ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)

آخر الفلاسفة من السلالة اليونانية، ((الذين كانوا في عهد الإسلام في مملكة بني العباس، معاصراً ليعقوب بن اسحق الكندي))[١]، فاضل، نبيل، متقدم في صناعة الطب[٢]، كان (مشهور التحقق بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق، والعلوم الطبيعية))[٣]، لا يطعن عليه بنقل، ولا يعاب في ترجمة ((فصيحاً باللغة اليونانية، جيد العبارة بالعربية))[٤]، وقد نقل أشياء من السريانية كما نقل عن اليونانية وأصلح نقولاً كثيرة، ترجمها غيره وقام بمراجعتها، لاعتمادهم على ترجمته، كان قد حمل معه كتباً يونانية كثيرة، عندما استدعي من الشام إلى بغداد ((ليترجم كتباً ويستخرجها من لسان يونان إلى لسان العرب))[٥]، ((وقد وجد ابن النديم أن قسطا كان يجب أن يقدم على حنين، لفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب ولكن بعض الإخوان سئل أن يقدم حنين عليه، وكلا الرجلين فاضل))[٦]، فكما كان حنين صاحب (بيت الحكمة) في زمانه، كان قسطا مهما في بيت الحكمة أيضاً، مسؤولاً عن أقسام الترجمة من اليونانية والسريانية والكلدانية إلى العربية بتكليف الخليفة المأمون[٧]، لأنه ((كان ناقلاً خبيراً باللغات، فاضلاً في العلوم الحكمية وغيرها))[٨]،

---

[١] صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص٤١، القفطي، أخبار الحكماء، ص١٧٣-١٧٤.

[٢] ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٣.

[٣] صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص٤١.

[٤] ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٣، القفطي، أخبار الحكماء، ص١٧٣.

[٥] القفطي، المصدر السابق، ص١٧٣.

[٦] ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٣.

[٧] ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ج٢، ص١٧٤، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٤، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص٦٨٢.

[٨] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص١٧١.

وصفه المستشرق الفرنسي هنري كوربان بأنه ((فيلسوف وطبيب وفيزيائي ورياضي، ترجم شروح الاسكندر الافروديسي، وبعض الشروحات الجزئية عن الكون والفساد))، ووجد هذا المستشرق بين مؤلفات قسطا بن لوقا رسالته عن الفرق بين الروح والعقل، وكذلك بعض أبحاثه عن العلوم الخفية، حيث تشبه شروحه وبشكل مثير أبحاث علماء النفس في أيامنا[1]، وتعد رسالة قسطا في ((الفصل بين النفس والروح))[2]، من أنفس الرسائل الفلسفية (ترجمت إلى اللاتينية وبقيت إلى أيامنا وقد ذكرها الباحثون كثيراً وانتفعوا بها)، ترجمها يوحنا الأسباني منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وانتفع بها)، ونشرها بالعربية لويس شيخو الأب اليسوعي في مجلته المشرق -١٩١١ عن نسخة خطية بالمكتبة الخالدية بالقدس الشريف[3]، ووصف النفس على حقيقتها عند قسطا بن لوقا البعلبكي: ((صعب معتاص جداً))[4]، أما الروح فهي ((جسم لطيف مقره التجويف الأيسر من القلب، ومن هذا المكان تمد جسم الإنسان كله بالحياة وتنيله القدرة على الحركة والحس، وكلما كان الروح رقيقاً لطيفاً صاخباً كان صاحبه عاقلاً مفكراً، سائساً مدبراً مميزاً))[5].

---

[1] تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٥٨-٥٩.

[2] هنري كوربان: الفهرست، ص٣٥٣.

[3] دي بور، تأريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، ص٣٩، وهامش المترجم رقم ٢ و٣.

[4] قسطا بن لوقا، رسالة (الفصل بين النفس والروح)، ص١٠٣، وهامش ٣ من ترجمة عبد الهادي أبو ريده لكتاب دي بور، (تاريخ الفلسفة في الإسلام)، ص٣٩.

[5] دي بور، المصدر السابق ص٣٩.

وينقل القفطي عن أبي الفرج الملطي قوله: لو قلت حقاً لقلت أنه أفضل من صنف كتاباً بما احتوى عليه من العلوم والفضائل، وما رزق من الاختصار للألفاظ وجمع المعاني)[1].

ولقسطا بن لوقا ((كتب مختصرة بارعة منها كتابه (المدخل إلى علم الهندسة) وهو مؤلف على المسألة والجواب لا نظير له))[2]، ويدل على أنه كان مهندسا منظرا ذا خبرة بفنه.

ومثلما برع قسطا في الهندسة، برع في الفلك والهيئة والجغرافية وعلم الرصد والحساب والعدد وصناعة الآلات من أصحاب الحيل والحركات وهندسة الميكانيك، ونظرة إلى قائمة كتبه التي ذكرها ابن النديم في الفهرست[3]، وإحصائية المستشرق بروكلمان[4]، تؤكد أن قسطا كان عالماً موسوعياً بارعاً، ولعل العودة إلى تعداد كتبه ورسائله وتوضيحها سيكون تحصيل لحاصل ولكن من المناسب أن نذكر أن قسطا كان من أوائل العلماء العرب الذين ابتكروا الكثير من النظريات وبحثوا في تأثير الطبيعة، وكتابه (المرايا المحرقة) نقلة متقدمة في علم الحرارة، وكتابه (العلة في اسوداد الحبش) فيه إشارات ذكية سبق بها عصره، عن تأثير الحرارة والأمطار والبيئة بما فيها من بخار وجبال وسهول على عادات الإنسان ولا سيما طروحاته في أسباب تغيير بشرة الإنسان وسواد لونه.

ويعد كتابه (المدخل إلى المنطق) وكتابه (شرح مذاهب اليونانيين) الذي يحتوي على آراء الفلاسفة في الأمور الطبيعية تأكيدٌ على أهمية الفلسفة في (مدرسة بغداد الفلسفية)...

---

[1] القفطي، أخبار...، ص١٧٣-١٧٤.

[2] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٤١، ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٣.

[3] ص٣٥٣، ومواضع أخرى ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١١، ٣١٤.

[4] تاريخ الأدب العربي، ج٤، ص٩٨-١٠٣.

كما تعد كتبه الطبية وترجمته لها ولغيرها من كتب النجوم والحساب والعدد شواهد على ما يتمتع به هذا الإنسان البارع في (مدرسة بغداد الفلسفية).

ويبدو أن كل ما كان يتمتع به قسطا من شهرة، ويظفر به من مكافأة وتقدير لم يكن يتناسب مع سعة علمه وفضله، لذلك فضل أن يهجر العراق إلى أرمينيا، ليعيش فيها بقية حياته، ولعل اضطراب الأحوال في العراق بعد اغتيال المتوكل كان الدافع لذلك النزوح عن العراق...

وكان بأرمينيا أبو الغطريف البطريق. من أهل العلم والفضل فحمل إليه قسطا كتباً كثيرة جليلة من أصناف العلوم، سوى ما حمله إلى غيره من أصناف شتى، (ومات هناك وبنيت على قبره قبة إكراماً له كإكرام قُبور الملوك ورؤساء الشرائع)[1]...

كان لعصر قسطا بن لوقا الذي ضم كبار الفلاسفة والمترجمين الذي أسسوا لمدرسة الفكر البغدادي مثال (الكندي وحنين بن إسحاق واسحق بن حنين وحبيش الأعسم وثابت بن قرة وأبنائه وأحمد بن الطيب السرخسي، والطفيوري المتطبب، وأبناء موسى بن شاكر المنجم محمد وأحمد والحسن والخوارزمي وغيرهم كثير، كان هذا العصر الأساس المتين الذي بنيت عليه (مدرسة بغداد الفلسفية) تأسيساتها الأولى... وحيث كان الأساس متيناً كانت نتائجه متميزة لقد استطاع هذا الجمع الخير من الأفذاذ أن يؤسسوا حقيقة (مدرسة بغداد الفلسفية) وأن يسهموا مع مفكري بغداد الآخرين ومنهم النظام والعلاف وجابر بن حيان وهشام بن الحكم وعشرات غيرهم في ازدهار حركة الفكر بصفة عامة وحركة الترجمة بصفة خاصة لنقولهم الكثيرة وشروحهم الجيدة ومختصراتهم النافعة فأضافوا إلى (مدرسة بغداد الفلسفية) قوة جديدة ظل أثرها نافذا (ويعد قسطا آخر من عمل

---

[1] القفطي، أخبار الحكماء...، ص١٧٣، ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء...، ج٢، ص٢٤٥.

على ازدهار حركة الترجمة حتى وفاته عام (٣٠٠هـ-٩١٢م) وتعد وفاته نهاية لعهد طبقة النقلة والعلماء في التأسيس والبواكير ونشأة (مدرسة بغداد الفلسفية)[١]...

## ثابت بن قرة الحراني الصابئي (ولد ٢١١هـ/٨٣٦م-٢٨٨هـ/٩٠٠م)[٢]

أبو الحسن الحاسب الحكيم، كان في مبدأ أمره صيرفياً بحران، أنتقل إلى بغداد، واشتغل بعلوم الاوائل، فمهر فيها، وبرع في الطب[٣]، (ولم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثله في صناعة الطب، ولا في غيره من جمع أجزاء الفلسفة[٤])، بل (كان الغالب عليه الفلسفة)[٥]، والحراني بعد ذلك (من أعظم

---

[١] د. رشيد الجميلي، حركة الترجمة، ص٣١٤-٣١٥.

[٢] الفهرست، ص٢٣١: قال: (ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين وله سبعة وسبعين سنة شمسية، وهذا لا يوافق قوله السابق، فإذا طرحنا سني عمره (سبعة وسبعين) من تأريخ وفاته ٢٨٨هـ، كانت ولادته كما ذكرنا سنة ٢١١هـ/ ٨٣٦م، وهو ما يؤكده ابن أبي أصيبعة في(عيون الأنباء) قال: (كان مولد ثابت بن قره سنة إحدى عشرة ومائتين بحران يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين ولد من العمر سبعة وسبعين سنة)، ج٢، ص١٩٦، غير أن كل من ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، ج١، ص٣١٤، وصاعد الأندلسي في كتابه (طبقات الأمم)، ص٥٧: قالا: أنه لم يدرك خلافة المأمون وهذا صحيح إذا كانت ولادته سنة ٢٢١هـ/ ٨٤٥م)، ومن المرجح أنها غير ذلك سنة (٢١١هـ/ ٨٣٦م)...

[٣] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣١٣.

[٤] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص١٩٣.

[٥] القفطي، اخبار العلماء، ص١١٥، المصدر السابق، ج٣١٣. قال: إن الغالب على ثابت بن قره من العلوم (الفلسفة).

المترجمين، وأعظم من عرف في مدرسة (حران) في العالم العربي[1]، ويذكر في سبب انتقاله من موطنه (حران) إلى بغداد، أن محمد بن موسى بن شاكر المنجم، اصطحبه معه (لما أنصرف من بلد الروم لأنه كان رآه فصيحاً... فوصله بالمعتضد وادخله في جملة المنجمين)[2]، وعلى هذا وجده صاعد الأندلسي: فيلسوفاً متوسعاً في العلوم، متفنناً في ضروب الحكم، متقلداً لجوامع الفلسفة (له تآليف حسنة في المنطق والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك)[3]، نعم فقد عاصر أفذاذاً مثله عاصر الكندي وحنين بن اسحق وقسطا بن لوقا، رعاهم وشجعهم على المزيد من العطاء الخلفاء والوزراء والعظام من الرجال أمثال أولاد موسى بن شاكر المنجم، حتى عد ثابتاً من جملة الذين يرزقونه (أولاد المنجم) في الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة)[4]، ولهذا نقرر: أن ثابتاً بن قرة من المترجمين المبرزين في (مدرسة بغداد الفلسفية)، وعلماً من أعلام الفكر فيها، وترجماته ومؤلفاته إضافات شاخصة في تأسيسات (مدرسة بغداد الفلسفية)، وسنيها الاولى، فيلسوف من فلاسفتها اتخذ الترجمة سبيلاً لإشباع رغبته، والعمل على تطوير أفكاره، أقبل على الترجمة والتحصيل الفلسفي والطبي من تلقاء نفسه، وهذا لا يقدح في نشاطه وإنه كان (يعمل طاعة لخليفة أو وزير، أو رجل عظيم)، فهو من باب نشر العلم ومنحه لمن يحتاج إليه، وعليه لا نرى حقا قول المستشرق دي بور: (ينبغي أن لا نعد هؤلاء النقلة من جملة الفلاسفة ذوي الشأن)[5]... (وهذا كلام متسرع لا ينطبق على ثابت في الأقل لأن ثابتاً كان فيلسوفاً مترجماً نابغة

---

[1] قدري حافظ طوقان: في كتابه (العلوم عند العرب)، ص١٢٧، وما ذكره من آراء الغربيين في ثابت.

[2] الفهرست، ص٣٣١، وعيون الأنباء، ج٢، ص١٩٣.

[3] طبقات الأمم، ص٥٦-٥٧.

[4] ابن النديم، الفهرست، ص٣-٤.

[5] تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، ص٣٨.

في الرصد والفلك بارعاً في الطب أخذ كتاب (أصول الهندسة) لاقليدس الذي عربه حنين بن اسحق العبادي (فهذبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستعجماً)[1]، وكذا فعل في كتاب اقليدس الآخر (القسمة)، كما ترجم وأصلح وفسر وشرح ولخص الكثير من كتب اليونان، ولذكائه وفطنته وحدة ذهنه فقد تألق في ممارساته العلمية والفلسفية والطبية وولج مجالات عدة[2]، وكان لثابت بن قرة أرصاد ببغداد حسنة اتخذها ليرصد الشمس على وفق (مذهبه في السنة الشمسية، وما أدركه بالرصد من موضع أوجها، ومقدار سنتها، وكمية حركتها وصور تعديلها)[3]، أن هؤلاء الفلاسفة الأعلام كانوا يدرسون العلم للعلم، عكفوا على الدرس والتحصيل رغبة منهم في الاستزادة وفي كشف الحقيقة والوقوف عليها، ولا بأس أن يكون هذا البحث استجابة لتشجيع أو لطلب الخليفة أو أي من أصحاب المعرفة ومحبي العلم، لأن هؤلاء النفر في حقيقتهم كانوا يجدون في البحث والاستقصاء والمتابعة لذة هي أسمى أنواع اللذات، ومتاعا للعقل هو أفضل أنواع المتاع[4]، وأن التشبث بأقوال من شأنها تحجيم أفكارنا وتشويه تراثنا، وتقزيم علمائنا يبقى كلاماً مشبوهاً يجانب الحق... نعم كان ثابت بن قرة عالماً موسوعاً تعددت إبداعاته وعمت عبقريته علوم الفلسفة والطب والرياضيات والفلك، نّظر وأضاف فروعاً للعلوم،... أن ثابت بن قره كان من العلماء الذين أسهموا في اكتشاف (التكامل والتفاضل) وهو فرع من فروع الرياضيات وأنه أجاد في التحليلات الهندسية إجادة عظيمة وله ابتكارات سبق بها الفيلسوف والعالم

---

[1] ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٥-٣٣١.

[2] المصدر السابق، ص٣٢٦.

[3] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٥٧.

[4] د. رشيد الجميلي، حركة الترجمة...، ص٢٩٨، طوقان: العلوم عند العرب، ص١١٨-١١٩.

الرياضي الغربي (ديكارت)[1]، ويبقى هذا الفيلسوف المترجم بحق من أعلام الصف الأول في (مدرسة بغداد الفلسفية) (ومن أعيان عصره في الفضائل)[2]، وتخرج على تصانيفه المشهورة بالجودة جماعة كثيرة من طلابه، سواء منهم من ذريته ومن أهله، أم من غيرهم كانوا جميعاً (يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم)، وهم أيضاً كانوا مثل ثابت في الديانة، صابئي الملة، بل كان ثابتا على رأي ابن النديم: أصل رئاسة الصابئة في بغداد، وهو الذي جعل لأهل هذه الملة المقام المحمود في قصور الخلفاء، وعلت مراتبهم واستقرت أحوالهم[3]، وكان لثابت بن قره مصنفات ورسائل تتعلق بتقعيد القواعد لمذهبه وشرح ديانته منها (رسالة في مذهب الصابئة وديانتهم)، وأخرى بالسريانية (رسالة في الرسوم والفروض والسنن) وثالثة في (تكفين الموتى ودفنهم)، ورابعة في (اعتقاد الصابئين)، وخامسة (في الطهارة والنجاسة)[4]، ...

وكان في بغداد، مدرسة أخرى تقابل مدرسة ثابت بن قرة الحراني تزعمها أول الأمر البخاشعة النسطوريون في مدرسة جنديسابور، ثم مدرسة حنين بن اسحق مع جملة أبنائه وأقاربه وطلابه من نصارى الحيرة، كانوا أوفر المترجمين إنتاجاً وقد ظل هؤلاء جميعاً مخلصين لدينهم النصراني، دين آبائهم وقد قرأنا فيما سبق تمسك هؤلاء القوم بدينهم ومعتقداتهم يوم قال المنصور لجورجيس بن جبرائيل: يا جورجيس: اتق الله واسلم، وأنا أضمن لك الجنة، قال جورجيس، أنا على دين آبائي أموت وحيث يكون آبائي أحب أن أكون، أما في الجنة أو في

---

[1] سليم طه التكريتي، (بيت الحكمة) مجلة المورد، العدد الرابع، ١٩٧٩، ص٢١٠، طوقان، (الخالدون العرب)، ص٥٨.

[2] القفطي، أخبار الحكماء، ص١١٨.

[3] الفهرست، ص٣٣١.

[4] فصل هذه الرسالة ابن أبي أصبيعة في كتابه (عيون الأنباء)...، ج١٩٩، ص٢١٠.

النار)[1]، إن هذا يدل على عظمة الإسلام وسماحته وقوة مبادئه، (وفي الوقت نفسه يدل على تسامح الخلفاء وتقديرهم لحرية الفكر)[2]...

ولأبي الحسن ثابت بن قره الحراني من الكتب ما شملت الكثير من مجالات الفكر لاسيما الفلسفة والطب والفلك والنجوم، فصلها بإسهاب وشهد بالمقدرة والكفاءة في ذلك كل من أرخ لهذا الفيلسوف المترجم وعلى الأخص منهم ابن النديم في الفهرست[3] وابن أبي أصبيعة في (عيون الأنباء...)[4].

---

[1] ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ج٢، ص٤٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٢٥.

[2] دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص٣٩.

[3] الفهرست، ص٣١٤، ص٣٢٥، ص٣١٢، ص٣٤٢-٣٤٣.

[4] ص١٩٣-٢٠١، ابن جلجل: طبقات الأطباء الحكماء، ص٧٥، صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص٥٧، القفطي، تاريخ الحكماء، ص١١٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص٣١٣-٣١٤.



obeikandl.com